

نساء
أهل البيت
منصور عبد الحكيم
المكتبة التوفيقية

نساء أهل البيت

زوجات النبي ﷺ
بنات النبي ﷺ
سراري النبي ﷺ
حفيدات النبي ﷺ

منصور عبد الحكيم



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، لا إله غيره.. سبحانه وتعالى عما يشركون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وله الثناء كله وإليه يرجع الأمر كله كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد فى الله خير الجهاد حتى آتاه اليقين.

أما بعد:

فإن الحديث عن أهل البيت له جلاله وعظمته وأهميته يفوح من خلال عبير الإيمان الصادق بالله، فهم الصفوة المختارة كما أن رب البيت رسول الله -ﷺ- سيد ولد آدم النبى المختار من رب العالمين، وهذا المصنف إنما هو عن نساء أهل البيت النبوى، وقد تناول الكثير والكثير من الكتّاب سيرتهم العطرة الزكية بما فيها من المواقف الطيبة ذات الهمة العالية والدرجات الرفيعة الإيمانية.

ولكن لا يكفى لسيرتهن مؤلف أو أكثر أو حتى الآلاف المؤلفات فهن ينابيع الهدى والنور الساطع المضىء للأمة الإسلامية على مدى التاريخ حتى تقوم الساعة - ولكل كتاب رؤيا يراها فى سيرتهن.. ولكن البحث يستلزم من الباحث فى تلك السيرة جهدًا شاقًا لأنه ليس حديث عبث أو مجرد قصة من قصص التاريخ تحكى، إنما السيرة عنهن تستلزم البحث والتدقيق واستلهام

العبرة والعظة.. فهن زوجات النبى -ﷺ- وبناته وحفيداته.. وكلهن لهن مواقف عظيمة أثرت فى التاريخ البشرى عامة والإسلامى خاصة كما سنعرف عندما نتعرض لسيرتهن العطرة.

لم يكن زواجه -ﷺ- من زوجاته عبثًا أو بحثًا عن شهوة يقضيها كما زعم المستشرقون، وإنما كانت زيجات لها مبرراتها وأسبابها الاجتماعية والسياسية والدينية. لها أبعادها، وهذا يتضح جليًا من خلال التعرض لسيرة زوجاته -ﷺ-، وأفضل ما قاله البعض: أن النبى -ﷺ- زُوِجَ ولم يتزوج.. أى أنه لم يتزوج رغبة منه فى الزواج وإنما كان زواجه لأسباب هامة غيرت وجه التاريخ فى الجزيرة العربية والعالم أجمع.. فنراه قد تزوج من امرأة أبوها زعيم يهودى كبير، وأخرى أبوها زعيم المشركين، وأخرى أرملة لها تاريخ مشرف وكلهن أثر زواجهن بالنبى -ﷺ- فى أهلهن وعشيرتهن تأثيرًا بليغًا كان خيرًا لها ولهم.

وإننى من خلال هذا الكتاب المتواضع أرجو أن أكون قد ساهمت بما قدمت.. وأرجو ألا أكون قد قصرت، وأسأل الله -عز وجل- المعونة على أن يخرج هذا العمل على الوجه الذى يرضاه ويقبله ويجعله فى ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه وإن كان هناك خطأ فمنى والشيطان، والله أسأل أن يغفر لنا تقصيرنا وخطأنا فهو الغفور الرحيم.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

منصور عبد الحكيم محمد

المحامى

ت/ [illegible]

القاهرة فى/ ديسمبر ١٩٩٨م

الباب الأول

نساء النبى ﷺ
أمهات المؤمنين

١ - خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
٢ - سودة بنت زمعة العامرية رضي الله عنها
٣ - عائشة بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنها
٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها
٥ - زينب بنت خزيمة رضي الله عنها
٦ - أم سلمة بنت أبى أمية رضي الله عنها
٧ - زينب بنت جحش رضي الله عنها
٨ - جويرية بنت الحارث الخزاعية رضي الله عنها
٩ - صفية بنت حُيىّ بن أخطب رضي الله عنها
١٠ - أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضي الله عنها
١١ - ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها

[١] السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

أم المؤمنين الأولى.. التى وفت لربها ولزوجها -ﷺ- فكانت الأم والأخت والزوجة.

واختصت بخصائص انفردت عن غيرها من نساء النبى -ﷺ-، نذكر منها أنها الأولى بينهن.. ولم يتزوج عليها رسول الله -ﷺ- فى حياتها حبًا لها ظل حبه فى قلبه لا يتغير ولا يتبدل حتى بعد وفاتها وزواجها من غيرها حتى أن السيدة عائشة رضي الله عنها غارت منها وهى ميتة وأظهرت ذلك لرسول الله -ﷺ- فقال لها حين قالت له أن الله أبدلك خيراً منها:

«والله ما أبدلنى الله خيراً منها: آمنت بى حين كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النساء»(١).

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده مرفوعًا، وروى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما غرت على امرأة للنبى ﷺ ما غرت على خديجة وهلكت قبل أن يتزوجنى، لما كنت أسمعه يذكرها وأمره الله أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب وإن كان ليذبح الشاة فيهدى فى خلائلها منها ما يسعهن. «وهذا لفظ البخارى والخلائل - الأصدقاء والأحباء -وذكر الإمام أحمد فى مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبى ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء. قالت -أى عائشة-: فغرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها. قال: ما أبدلنى الله خيراً منها، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وآستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء». وقد رزق ﷺ بولده إبراهيم من مارية القبطية كما ستعرف وذلك بعد ذكر ما جاء فى الحديث السابق.

وفى فضلها ما ذكره مسلم والبخارى والترمذى والنسائى من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساءها مريم بنت عمران وخير نساءها خديجة بنت خويلد». وذلك فى زمان كل منهن.

وقال أيضاً: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت بخويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد =

ورزق منها الولد والذرية كما جاء فى الحديث السابق وامتدت الذرية من ولد ابنتها فاطمة ﵂ من ابنيها الحسن والحسين إلى يوم القيامة، وتحملت عبء الدعوة فى بدايتها، وانفردت أيضًا أنها عاشت مع رسول الله -ﷺ- قبل بعثته وبعد أن بعث بالرسالة، وقبل وفاتها أرسل إليها الله -سبحانه وتعالى- بالسلام مع جبريل -عليه السلام-.

إن التاريخ الإنسانى على مراحله لم يذكر امرأة فاضلة وفت وأدت واجباتها تجاه زوجها كما كانت ﵂.. لقد كانت بمثابة الوزيرة ذات الرأى الصائب والأم الحنون والزوجة التى تشع بالدفء والعاطفة الجياشة والصديقة التى آزرت وأعطت المال والجهد والصبر فى المواقف الشداد.

لم يحفظ لنا التاريخ مثل تلك السيدة الفاضلة.. وهذا يزيد الأمر صعوبة ومشقة حين نتحدث عن سيرتها.

لقد عدها المؤرخون والفقهاء من أفرس النساء على مر التاريخ لأنها اختارت النبى -ﷺ- زوجًا.. لم يكن هذا الاختيار عبثًا أو زواجًا عاديًا.. إنما جاء عن بصيرة ثاقبة وانشراح صدر وقلب، ورجاحة عقل.. ورؤية نافذة وهذا يتضح لنا حين نتعرف عن قصة هذا الزواج الذى غيَّر مجرى التاريخ.

لقد كان بعض زوجات الرسل عونًا عليهم، مثل نوح ولوط بل وأبينا آدم، وقد فضل رسول الله -ﷺ- عن أبيه وأمه آدم أن زوجته -ﷺ- عونًا له وكانت زوجة أبينا آدم عونًا عليه.

ودعونا نتعرف عن السيدة الفاضلة.

= على سائر الطعام». ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية رواية عبد ابن مردويه فى تفسيره وقال إسناده صحيح إلى شعبه وبعده. وجاء الحديث بلفظه أيضًا عن طريق شعبة بن عمرو بن مرة الطيب الهمدانى عن أبى موسى الأشعرى وأخرجه البخارى ومسلم. والثريد هو الطعام من الخبز واللحم.

أبوها خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصَىّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب[١].

تزوجت قبل النبى ﷺ مرتين.. المرة الأولى من عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ثم تزوجت بعد موته من أبى هالة هند بن زرارة التميمى، وقد مات أيضًا[٢].

وبعد وفاة زوجها الثانى وقد بلغت من العمر الخامسة والعشرين لم تتزوج وانشغلت بأمر تجارتها، فهى ذات شرف ومال، فكانت تستأجر الرجال التجار من أهل مكة فى تجارتها وتجعل لهم أجرًا على ذلك.

لقاء..وقدر..ورؤيا

ولأنها كانت تعمل بالتجارة وكانت تستأجر من ترى من رجال مكة كى يتاجرون لها نظير أجر أو نسبة فى الأرباح، فكانت على علم بما يفعله أولئك الذين تستأجرهم لمباشرة تجارتها فى رحلتى الشتاء والصيف وذلك عن طريق غلامٍ لها يدعى «ميسرة».. ترسله مع تجارتها كى يراقب التجار والتجارة ثم يأتيها بالأخبار.. وكثيرًا ما يذكر لها ما يفعله أولئك التجار الذين تستأجرهم من سرقة مالها ولكنها لا تملك حيلة لذلك.

(١) ذكره ابن هشام فى السيرة النبوية وأضاف: خديجة بنت خويلد تسمى الطاهرة فى الجاهلية والإسلام، وفى سيرة التيمى أنها كانت تسمى سيدة نساء قريش. وذكر ابن كثير فى البداية والنهاية عن عائشة أن خويلد أبا السيدة خديجة قد مات قبل حرب الفجار وهو الذى نازع تبعًا ملك اليمن حين أراد أن يأخذ الحجر الأسود إلى اليمن.

(٢) ذكر بعض المصنفين من أصحاب السير أنها تزوجت أولاً من أبى هالة هند بن زرارة ثم مات ثم تزوجت عتبة بن عائذ بن مخزوم وولدت له عبد مناف بن عتبة وقيل ولدت لعتبة جارية اسمها هند.. وولدت من زوجها أبا هالة ولدًا اسمه هند أيضًا والطاهر وهالة. وقد ذكر ذلك ابن هشام فى السيرة النبوية إلا أنه ذكر زواجها من عتبة بن عائذ المخزومى أولاً ثم زواجها من هند أبى هالة ثانيًا.

وبحثت خديجة ﵂ عن تاجراً أمينًا يتاجر لها فى رحلة الصيف القادمة إلى الشام.

وترامت إليها سيرة محمد ﷺ الذى لُقِّبَ من أهله بالصادق الأمين.. لصدقه وأمانته وأضف إلى ذلك كونه قريب لها، فعمته صفية بنت عبد المطلب زوجة أخيها العوام بن خويلد وابنهما الزبير بن العوام.

وأرسلت السيدة خديجة إلى محمد ﷺ تعرض عليه أن يباشر تجارتها فى رحلة الشام وتعطيه ضعف ما تعطى التجار الذين كانت تستأجرهم من قبل، وقالت له: إنه دعانى إلى البعثة إليك ما بلغنى من صدق حديثك وعظمة أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك.

وأخبر رسول الله ﷺ عمه أبو طالب بذلك، ففرح العم وقال لابن أخيه: «أن هذا لرزق ساقه الله إليك»[1].

وبالفعل قبل رسول الله ﷺ أن يتاجر فى مال السيدة خديجة فى رحلة

---

(١) ذكر صاحب كتاب عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ابن سيد الناس خبر رفعه إلى نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية أن النبى ﷺ لما بلغ الخامسة والعشرين من عمره وقد نُقِّبَ من أهل مكة بالأمين وتكاملت خصال الخير فيه قال له عمه أبو طالب:
يا ابن أخى أنا رجل لا مال لى، وقد اشتد الزمان علينا، وأحلت علينا سنون منكرة، وليست لنا مادة ولا تجارة، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك فى عيراتها فيتجرون لها فى ماله، ويصبون منافع، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها، لأسرعت إليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك، وإن كنت لأكره أن تأتى الشام، وأخاف عليك من يهود، ولكن لا تخبر من ذلك بدًا.
فقال له رسول الله ﷺ: فلعلها تُرسل إلىَّ فى ذلك. فقال أبو طالب: إنى أخاف أن تولى غيرك فتطلب أمرا مدبرا
وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له، وقبل ذلك كانت تعلم صدقه وأمانته فأرسلت إليه. وكان أبو طالب يخشى على ابن أخيه من اليهود بالشام لما حدث لهم حين أخذه فى تجارته وهو صغير إلى الشام ورآه الراهب عند حدود الشام وأخبره أنه ﷺ سيكون له شأن عظيم وحذره من اليهود عليه

الشام، وخرج معه غلامها «ميسرة» كعادته يرقب ما يحدث فى الرحلة ثم يخبر سيدته عما رأى وشاهد.

وصلت القافلة الشام، وفى سوق بصرى جلس رسول الله -ﷺ- تحت ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يسمى «نسطورا».. ونظر إليه الراهب فى دهشة ورأى الغلام ميسرة بجواره فسأله:

- من هذا الذى نزل تحت هذه الشجرة.

قال ميسرة:

- رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال الراهب:

- ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى.. هل فى عينه حمرة.

قال ميسرة:

- نعم لا تفارقه.

فصاح الراهب:

- هو هو وهو آخر الأنبياء ويا ليتنى أدركه حين يؤمر بالخروج.

وأضمر ميسرة ما قاله الراهب فى نفسه وحفظه، والشيء الآخر الذى رآه ميسرة عجيبًا أن سحابة تظلل رسول الله ﷺ إذا مشى فى الهجير تحت الشمس الحارقة، وأراد ميسرة أن يتأكد.. هل تلك السحابة تقصد رسول الله ﷺ.. أم أنها مصادفة!! فشمى معه فإذا السحابة لا تظلله.. فإذا انصرف عنه عادت إليه تظلله وحده[1]..

---

(١) ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية.. قال ابن إسحاق إذا كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل من أسد بن عبد العزى وكان ابن عمها وكان نصرانيًا قد تتبع الكتب، وعلمه من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظلانه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقًا يا خديجة أن محمد لنبى هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر. هذا زمانه.

عجبًا.. ما رأيت وما سمعت يا ميسرة.. وعادت القافلة وقد ربحت أكثر ما ربحت من قبل.

وأخبر «ميسرة» السيدة خديجة بما رأى من أمر رسول الله -ﷺ- وما قاله الراهب حين رآه.. وكيف كانت تجارته من أمانة فى البيع والشراء.. وكيف ربح وغنم بالأمانة والصدق.

واستمعت السيدة خديجة لما قاله ميسرة لها.. وتأكدت من صدق أمانته وما يقال عنه أنه الصادق الأمين.. حقًا إنه لصادقٌ أمين..

لقد ربحت تجارتها ضعف ما ربحت من قبل.

وعادت السيدة خديجة بذاكرتها إلى الوراء قليلاً.. حين عادت إلى بيتها يومًا بعد أن طافت بالكعبة.. ورأت فيما يرى النائم أن شمسًا عظيمة تهبط من سماء مكة وتستقر فى بيتها، وتملؤه نورًا وبهاءً بل ويغمر هذا النور كل ما حولها، وتذهب خديجة حائرة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل.. ذلك العابد العالم الذى اعتزل عبادة الأوثان.. وقرأ التوراة والإنجيل ويعبد الله على دين إبراهيم وعيسى بن مريم -عليهما السلام- وقصت عليه ما رأت فى منامها.. وأصغى إليها ورقة بن نوفل باهتمام ثم قال لها:

- ابشرى يا ابنة العم، لو صدق الله رؤياك ليدخلن نور النبوة دارك وليفيضنّ منها نور خاتم النبيين.

وسُرّت خديجة بذلك سرورًا كبيرًا - وتمنت لو تزوجت بذلك النبى الخاتم الذى أخبرها عنه ابن عمها ورقة وأكد لها أن هذا هو زمانه.

وتتابعت أسئلة خديجة لورقة بن نوفل عن أوصاف ذلك النبى الخاتم المنتظر.. وورقة يجيب على أسئلتها وهى مصغية إليه، فلعل الله يرزقها الزواج به.

الزواج المبارك

تجمع لدى خديجة يقين مؤكد أن محمد بن عبد الله ليس رجلاً عاديًا، بعد أن قص عليها ميسرة ما حدث ورآه وذكره الراهب فى الشام، والرؤيا التى رأتها منذ فترة وأخبرت بها ابن عمها ورقة بن نوفل وما ذكره لها عن النبى المنتظر آخر الزمان، وأوصافه هذا النبى تنطبق على محمد بن عبد الله.

أدركت خديجة رضي الله عنها بفراستها وحكمتها ورجاحة عقلها أن محمدًا هو النبى الخاتم، ولكن هناك عقبة تحول بينها وبينه.. إنه فارق السن.. فهو يبلغ من العمر خمسة وعشرون عامًا وهى فى الأربعين من عمرها، وأنها ذات مال وهو قل لا مال له، ورأت أن ترسل إليه من يجس النبض، فأرسلت إليه صديقتها نفيسة بنت منية إلى محمد ﷺ تسأله:

فقالت له: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟

قال لها: «ما بيدى ما أتزوج به».

قالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة.. ألا تجيب؟

قال: فمن هى؟

قالت: خديجة!

قال: «وكيف لى بذلك؟».

قالت: علىّ.

قال: «فأنا أفعل».

وذهب نفيسة الخير إلى خديجة تخبرها الخبر والموافقة.. وذكر ابن هشام فى السيرة النبوية أن السيدة خديجة رضي الله عنها بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له فيما يزعمون: يا ابن عم.. إنى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك -أوسطك- فى قومك وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك.

ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبًا،

وأعظمهن شرفًا وأكثرهن مالاً، وكل قومها كان حريصًا على ذلك منها لو يقدر عليه.

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذهب إلى أعمامه يستشيرهم فى أمر ذلك الزواج، فوافق أعمامه على الزواج.

وأرسلت خديجة إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها.. وحضر إلى بيت خديجة ﵂ رسول الله ﷺ وعمه أبو طالب وعمه الحمزة بن عبد المطلب وصديقه أبى بكر وعمار بن ياسر، وجاء من أهل خديجة عمها عمرو بن أسد وابن عمها ورقة بن نوفل وابن أخيها حكيم بن حزام وبعض النسوة من أقاربهما.

وقام أبو طالب عم النبى ﷺ خطيبًا خطبة الأملاك وهى خطبة الزواج وهو ما نسميه نحن الإيجاب فقال:

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضئ معد -أصل معد- وجعل لنا بيتًا محجوبًا وحرمًا آمنًا وجعلنا الحكام على الناس. ثم أن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح عليه برًا وفضلاً، وشرفًا وعقلاً، ومجدًا ونبلاً، فإن كان مع المال قُلٌّ -قليل المال- فإن المال ظل زائل وأمر حائل، وعارية مسترجعة، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله من مالى عشرين بكرة.. وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل فزوجها.

فقال عمها عمرو بن أسد:

اشهدوا علىَّ يا معشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد[1]

(١) ذكر ابن إسحاق فى السيرة أن الذى زوجها هو أبوها فى إحدى الروايات عن الزهرى ولكن الراجح والذى عليه أهل السير ومنهم ابن إسحاق أنه عمها عمرو بن أسد لأن أباها توفى قبل حرب الفجار كما ذكرنا.

وذبحت الإبل وأطعم الناس، وفرح الناس لهذا الزواج المبارك وكان أشد الناس فرحًا أبو طالب فقد اطمأن على ابن أخيه الذى تركه جده عبد المطلب له أمانة فى عنقه، فالآن أصبح زوجًا لسيدة شريفة النسب ذات جمال ومال.

أسعد زوجين فى مكة

لقد جمع بيت الزوجين بأفضل زوجين عرفهما التاريخ البشرى على إطلاقه، وظللت السعادة بظلالها على البيت السعيد، فهذا محمد ﷺ لطيف المعشر، عطوف، واسع الكرم ذو مروءة.. ليس بالفظ أو غليظ القلب، فاض حنانه على جميع من حوله.

وهذه خديجة ﵂ قد هيئت البيت بأسباب السعادة لزوجها.. مطيعة له.. لا تبخل عليه بمالها وعواطفها الجياشة، فكانت تحبه حبًا عظيمًا ملك عليها كل مشاعرها، فكانت العشرة الزوجية أصدق دليلاً على هذا الحب الذى لا ينتهى.

وداخل الدار كان ابن خديجة من زوجها السابق «هند» فتشأ فى حجر رسول الله ﷺ.. وأتى رسول الله ﷺ معه بجاريته بركة أم أيمن الحبشية.

وكان بالدار أيضًا عبدًا مملوكًا لخديجة ﵂ اشتراه ابن عمها حكيم بن حزام من سوق عكاظ ووهبه إلى السيدة خديجة.. وكان ذاك هو زيد بن حارثة الذى خطفه تجار الرقيق من أمه وباعوه عبدًا فى سوق عكاظ.. فهو حر بن حر.. ووهبت خديجة ﵂ زيدًا إلى النبى ﷺ.. وعامله الرسول ﷺ معاملة الابن.. حتى أنه -رفض- العودة إلى أهله حين أرادوا فداءه وآثر البقاء مع رسول الله ﷺ لما رآه من حُسن معاملة بل وفراسة منه أن هذا الرجل سوف يكون له شأن عظيم فما كان من رسول الله ﷺ وذلك قبل مبعثه ونزول الوحى عليه أن أعلن أن زيدًا هذا ابنه، له كافة حقوق الابن من

النسب والميراث، ودعى بعد ذلك بزيد بن محمد حتى ألغى التبنى بعد ذلك مع نزول الوحى على رسول الله ﷺ.

الذرية من خديجة

أنعم الله على الزوجين بنعمة الأولاد، فلم تمر شهوراً وقد شعرت خديجة بوادر الحمل، فكان أول الذرية هى زينب بنت محمد ﷺ.. ونشأت الوليدة المباركة فى كنف وحنان أبيها وأمها وبعد عامين رزقهما الله بطفلة أخرى هى رقية بنت محمد ﷺ، ثم تتابعت الذرية الطيبة المباركة.. فجاءت أم كلثوم بنت محمد ﷺ ثم فاطمة الزهراء وولدت له من الذكور القاسم وبه لُقِّبَ ﷺ فكان ينادى عليه يا أبا القاسم.. ورزق بعد النبوة ومات قبل أن يكمل رضاعته[1].

ولم يبق من أولاده سوى البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ، ولم يفرق رسول الله ﷺ فى معاملة بين أبنائه من خديجة ﵂ وبين ابنها من زوجها السابق «هند» ابن أبى هالة وأيضًا زيد بن حارثة فقد وسعهم قلبه الكبير وأفاض عليهم بالحب والعطاء والحنو الأبوى.

وهكذا عاشت الأسرة المحمدية فى سعادة وهناء رغم موت ابنى رسول الله ﷺ الذكور القاسم وعبد الله حتى بلغ النبى ﷺ سن الأربعين فجاءته الرسالة من رب السماء.

---

(١) ذكر ابن هشام فى السيرة أن أولاده ﷺ من خديجة ﵂ هم: القاسم والطيب والطاهر وبناته زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وقيل: إن الطاهر والطيب لقبان للقاسم ويسمى أيضًا عبدالله وبعد موته دخل رسول الله ﷺ على السيدة خديجة وهى تبكى فقالت: يا رسول الله درّت لبنيه القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لهون علىّ. فقال لها: إن له مرضعًا فى الجنة تستكمل رضاعته. فقالت: لو أعلم ذلك لهون علىّ. فقال: إن شئت أسمعتك صوته فى الجنة. فقالت: بل أصدق الله ورسوله». ذكره الغريانى فى مسنده وأورده محقق كتاب السيرة النبوية لابن هشام فى الهامش.

نزول الوحى على رسول الله ﷺ

لقد عرف رسول الله ﷺ ربه قبل أن يبعث، فلم يسجد لصنم فى حياته ولم يعبد الأصنام أبدًا، فقد أشرق قلبه بنور الإيمان الفطرى وأرشد إلى الحق، فكان يخرج إلى جبل النور حيث غار حراء بمكة فى شهر رمضان ويتعبد لله الواحد الأحد، وكان يجلس فى الغار الليالى الطوال ولا يخرج إلا أن يأتى بالطعام، وقد وفرت له الزوجة الطاهرة خديجة أسباب الخلوة والعبادة، فكانت نعم المعين له على ذلك.

وحبب لرسول الله ﷺ الخلوة وذلك قبل مبعثه وأيضًا الرؤيا الصالحة الصادقة يراه كفلق الصبح، فكان لا يرى رؤيا إلا تحققت، وظل الأمر على ذلك الحال حتى كمل الأربعين وفى ليلة القدر فى رمضان وفى غار حراء جاءه الملك فى هيئة رجل فقال له:

- اقرأ.

قال رسول الله ﷺ:

- ما أنا بقارئ.

فأخذه وضمه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله وقال له:

- اقرأ.

فقال له رسول الله ﷺ:

- ما أنا بقارئ.

فأخذه وضمه مرة ثانية وأرسله وقال له:

- اقرأ.

فأجابه ﷺ:

- ما أنا بقارئ.

فأخذه وضمه ثالثة وأرسله وقال:

- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

وانطلق رسول الله ﷺ إلى بيته فدخل على زوجته خديجة رضي الله عنها وهو يقول لها:

- «زملونى.. زملونى».

فوضعوا عليه الأغطية حتى ذهب عنه الرَّوع والخوف، ثم قال لها:

- أى خديجة.. لقد خشيت على نفسى.

وأخبرها بما حدث له فى الغار فقالت له الزوجة المؤمنة البارة الصادقة الوفية:

- كلا.. والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق».

وهكذا كان موقف خديجة رضي الله عنها من المؤازرة والتصديق وبعد النظر وقوة البصيرة.

وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذى تنبأ لها من خلال رؤياها السابقة أنها تتزوج بخاتم الأنبياء.. وكان شيخًا كبيرًا فى السن ويتعبد على دين النصرانية ويقرأ التوراة والإنجيل فقالت له خديجة:

- يا ابن عم.. اسمع من ابن أخيك.

قال ورقة لرسول الله ﷺ:

- يا ابن أخى، ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى وسمع من الملك فى الغار.

(١) أول سورة العلق، وقد ذكر الحديث البخارى وغيره من كتاب الحديث والسيرة ونحن نورده هنا بتصرف.

- اهتز ورقة بن نوفل لما سمع من رسول الله ﷺ وسرى روح الإيمان فى جسده الهزيل الذى أضعفه المرض وانتفض يقول ويردد:

«هذا الناموس الذى نزل على موسى عليه السلام، يا ليتنى فيها جذعًا، ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك».

فقال له رسول الله ﷺ:

- أو مخرجىَّ هم.

قال ورقة له:

- نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

وهدءت نفس رسول الله ﷺ لما سمع من ورقة بن نوفل وانصرف مع زوجته إلى بيتهما[1].

وتلك الوقفة لخديجة بنت خويلد مع زوجها رسول الله ﷺ تبين مدى وصلت إليه من ثبات اليقين وكمال عقلها وفراستها، فقد كانت أعرف بقدر زوجها رسول الله ﷺ، فهى تعرفه حق المعرفة وتعرف خصائله ومكارم أخلاقه، وإيمانه فقالت له ما قالت بل وأكدت فراستها وصدق إحساسها عندما أكد ورقة بن نوفل ما اطمأنت إليه نفسها وقلبها من قبل.

وكانت أول المؤمنين المسلمين لله على يد رسول الله ﷺ.

وأصبح دار خديجة رضي الله عنها هو بيت النبوة.. فقد أسلمت خديجة

(١) الحديث أخرجه الشيخان، وفى الحديث أن التى ذهبت أولاً إلى ورقة بن نوفل هى السيدة خديجة رضي الله عنها وذكرت ما سمعته من رسول الله ﷺ له فانفعل لذلك وقال لها:
«قدوس.. قدوس.. والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وعيسى، وأنه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت».
وذهبت السيدة خديجة إلى رسول الله ﷺ وانطلقت به حتى أتت به ورقة ودار بينهما ما ذكرناه.

وبناتها، ذكر ابن إسحاق فى سيرته عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما أكرم الله نبيه بالنبوة، أسلمت خديجة وبناته.

وأسلمت الأسرة الكريمة من الزوجة والبنات وزيد بن حارثة الذى كان وقتها يدعى زيد بن محمد وكذلك ابن عمه على بن أبى طالب فقد كان فى بيته يربيه ويرعاه.

ومن فراسة خديجة رضي الله عنها ما أورده ابن هشام فى سيرته ونقله عن الذهبى، قال: قالت خديجة لرسول الله ﷺ: يا ابن عم، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك - تقصد جبريل عليه السلام- إذا جاءك؟

فلما جاءه قال: يا خديجة هذا جبريل!

فقالت: اقعد على فخذى.. ففعل.

فقالت: هل تراه؟

قال: نعم.

فألقت خمارها وحسرت عن صدرها.

فقالت: هل تراه؟

قال: لا.

قالت: أبشر فإنه والله ملك وليس بشيطان(1).

هكذا كانت فراستها وقوة البصيرة والإيمان لديها

مع الدعوة فى بدايتها

كما كان لها فضيلة السبق فى الإيمان والإسلام، كان لها أن تلك الفضيلة فى تحمل أعباء الدعوة مع زوجها رسول الله ﷺ، فقد كانت الزوجة الأمينة الوفية لدينها وزوجها. وظلت صابرة مجاهدة حين عادى أهل الشرك

(1) سير أعلام النبلاء ٢/١١٦.

من قريش الرسول ﷺ حين صدع بأمر الله داعيًا إلى الإسلام وتابعت رسول الله ﷺ فى أمور العبادة فكانت أول من صلى خلف النبى ﷺ فى مكة وكان أمرًا مستغربًا وتروى كتب السيرة عن عفيف الكندى قال: كان العباس بن عبد المطلب لى صديقًا وكان يختلف إلى اليمن يشترى العطر، ويبيعه أيام الموسم، فبينما أنا عند العباس بمنى، فأتاه رجل مجتمع فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم قام فصلى، فخرجت امرأة فتوضأت، ثم قامت تصلى، ثم خرج غلام قد راهق، فتوضأ ثم قام إلى جنبه يصلى، فقلت: ويحك يا عباس، ما هذا الدين!! قال: هذا دين محمد بن عبد الله ابن أخى، يزعم أن الله بعثه رسولاً، وهذا ابن أخى علىّ بن أبى طالب قد تابعه على دينه، وهذه امرأته خديجة قد تابعته على دينه.

قال عفيف الكندى بعد أن أسلم: يا ليتنى كنت رابعًا.. ذكره صاحب عيون الأثر وغيره.

ومع تتابع نزول القرآن على الرسول الكريم ﷺ كانت عداوة أهل الكفر من قريش تتزايد، وعلى رأس القائمة تأتى أم جميل وزوجها أبى لهب عم النبى ﷺ، وكان ابنيهما قد تزوجا بابنتى رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم، فأما عتبة بن أبى لهب فقد فارق رقية رضي الله عنها دون أن يؤذيها أو يؤذى أبيها ﷺ وقد سأله أن يطلقها، وأما عتيبة بن أبى لهب فقد طلق أم كلثوم رضي الله عنها ولكن آذى رسول الله ﷺ وأعلن العداوة ولعب الشيطان بعقله فجاء إلى النبى ﷺ وسطا عليه ومزق قميصه، فدعى عليه رسول الله ﷺ: «**اللهم ابعث عليه كلبًا من كلابك**» وقد استجاب الله لدعوة نبيه ﷺ كما سيأتى بيان ذلك حين نتحدث عن سيرة السيدة أم كلثوم رضي الله عنها، وبالفعل قتل هذا الكافر بواسطة كلب من كلاب الله.

وتزوجت رقية رضي الله عنها بعثمان بن عفان وهاجرت معه إلى الحبشة مع من

هاجروا إليها فى أحد عشر رجلاً وأربع نسوة من قريش.. وتحملت السيدة خديجة ﷺ فراق ابنتها فى سبيل الدعوة.

ورغم أن عدد المسلمين فى مكة إبان العصر المكى للدعوة الإسلامية لا يزيد عن الأربعين إلا قليل، إلا أن قريش قد شعرت بأن خطر هذا الدين يزداد، الأمر الذى جعلهم يوجهون الضربة القاضية بقتل رسول الله ﷺ واتفقوا على ذلك وعلم بنو هاشم بذلك وأعلنوا حمايتهم لمحمد ﷺ، رغم أن أكثرهم كان على غير دينه ولكنها الحمية والعصبية القبيلة، والتى جعلها الله نصرة لدينه.

وكان هذا التحول المفاجئ فى حرب دعوة الإسلام أمرًا خطيرًا عند العرب، فقد أذى أهل الشرك فى قريش المؤمنين، فكان النصيب الأوفر من العذاب للمستضعفين الذين لا أهل لهم يمنعونهم أو عشيرة ثم غيرهم من أبناء أهل الكفر، وبالجملة فقد تحمل كل من آمن الأذى بقدر ما أسبغ عليه عشيرته من حماية.

ولكن الطامة الكبرى حين أراد مشركو قريش القضاء على بنى الإسلام.. هنا وقف بنو هاشم صفًا واحدًا بزعامة العم أبى طالب ولم يشذ عنهم إلا الكافر أبو لهب عليه -لعنة الله- فقد انحاز إلى جانب المشركين بل تزعمهم مع أبو جهل عليه -لعنة الله-.

وأما حماية بنى هاشم لابنهم البار ﷺ رغم أنهم يخالفون، اضطر أهل الشرك إلى حيلة آخر، وهى القتل الجماعى بالتجويع وهو ما نسمى نحن فى عصرنا الحالى «الحصار الاقتصادى» فقد اقترح النضر بن الحارث العبدرى من مقاطعة بنى هاشم والتضييق عليهم ومنعهم من حضور الأسواق أو البيع لهم أو الشراء منهم والنكاح منهم حتى يسلموا إليهم محمد ﷺ، وكتبوا ذلك فى صحيفة ووقعوا عليها وعلقوها فى الكعبة المشرفة.

وجمع أبو طالب بنى هاشم وعبد المطلب فى منطقة تسمى شعب أبى طالب وأمرهم أن يدخلوا الشعب ومعهم رسول الله ﷺ، كى يمنعوه مما أراد القوم أن يفعلوه به، كان ذلك فى العام السابع من البعثة.

وأمام هذا الإصرار من بنى هاشم فى حماية رسول الله ﷺ، مسلمهم وكافرهم، قام المشركون بضرب حصار آخر على الشعب حتى لا يدخل إليهم أحد من الناس.

لقد كانت العناية الإلهية فوق كل أذى الكفار، فقد نُصر رسول الله ﷺ بالمؤمن، والكافر، وأراد المشركون الكيد لنبى الإسلام ﷺ فلم يفلحوا وجعلهم الله الأسفلين فى آخر الأمر. ولم يكن أمر الحصار الاقتصادى والاجتماعى على رسول الله ﷺ وبنى هاشم ومن ناصره من غيرهم أمرًا سهلاً يسيرًا.. فقد مرت الأيام والشهور واشتد الضيق، ونفذ الزاد وزاغت الأبصار وتفككت الأوصال وبكى النساء والصغار، وربط الجميع الحجارة على بطونهم من شدة الجوع، هكذا فعل النبى ﷺ ومن معه، وكذلك زوجته الصابرة خديجة ﵂.

ولم ترحم قلوب الكفار تلك البطون الجائعة والأجساد المريضة الهزيلة، كما يحدث اليوم من حصار لبعض الدول الإسلامية من قبل الدولة العظمى الكافرة.. ولكن الله -سبحانه وتعالى- يوحى إلى رسوله ﷺ -وقد مضت على تلك المقاطعة ثلاث سنوات- بأن الأرضة -وهى حشرة صغيرة- قد سلطها الله على الصحيفة الظالمة فأكلتها ولم يبقى منها سوى اسم الله.

وذهب أبو طالب إلى زعماء قريش الذين وقعوا على الصحيفة يخبرهم بما أخبره به ابن أخيه ﷺ من أمر الصحيفة، وانضم إليه بعض العقلاء من

أهل قريش.. فإن كان محمد صادقًا فلا داعى للمقاطعة والحصار وإن كان كاذبًا فافعلوا ما يحلوا لكم[1].

واخرجوا الصحيفة الظالمة من الكعبة المشرفة فإذا الأمر كما أخبرهم رسول الله ﷺ ولم يبق بها إلا ذكر الله.

وانتهت المقاطعة ولكن الكبر والعناد والكفر لم ينتهى من قلوبهم وخرج بنو هاشم من شعب أبو طالب.. وانتهت تلك المحنة الشديدة.. وقد مضى من عمر الدعوة عشر سنوات.

وفاتها رضي الله عنها

وبعد خروج بنو هاشم والمسلمين من الحصار الذى فرضه مشركو قريش ومن شايعهم، كان المرض قد اشتد بالسيدة الطاهرة النقية خديجة رضي الله عنها.. وتمكن من جسدها، واقترب لقاء الوفاء، لقد بشرها رسول الله ﷺ بأمر من ربه أن لها بيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[2].

(١) قال ابن القيم فى كتابه زاد المعاد جـ٣: ١١ وكانت قريش فى ذلك بين راضٍ وكاره، فسعى فى نقض الصحيفة من كان كارهًا لها، وكان القائم بذلك هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك مشى فى ذلك إلى المطعم بن عدى وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك، ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأنه أرسل الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم، إلا ذكر الله -عز وجل- فأخبر بذلك عمه. فخرج إلى قريش فأخبرهم أن ابن أخيه قد قال كذا وكذا فإن كان كاذبًا خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقًا رجعتم عن قطيعتنا وظُلمنا، قالوا: قد أنصفت. فأنزلوا الصحيفة فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ ازدادوا كفرًا إلى كفرهم، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب. قال ابن عبد البر: بعد عشرة أعوام من المبعث ومات أبو طالب بعد ذلك بستةأشهر وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام.

(٢) روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصبٍ لا صخب فيه ولا نصب. رواه النسائى والطبرانى وأحمد وغيرهم.

فهنيئًا لها بهذا المقام العلوى الرفيع.. لقد آن لها أن تستريح وتنعم بجوار ربها.

ولبت النداء راضية مرضية مبشرة بالجنة ودفنها زوجها ﷺ فى مدافن أهلها فى منطقة جبلية بمكة تسمى «الحجون» وكانت تبلغ من العمر الخامسة والستين رضي الله عنها وأرضاها.

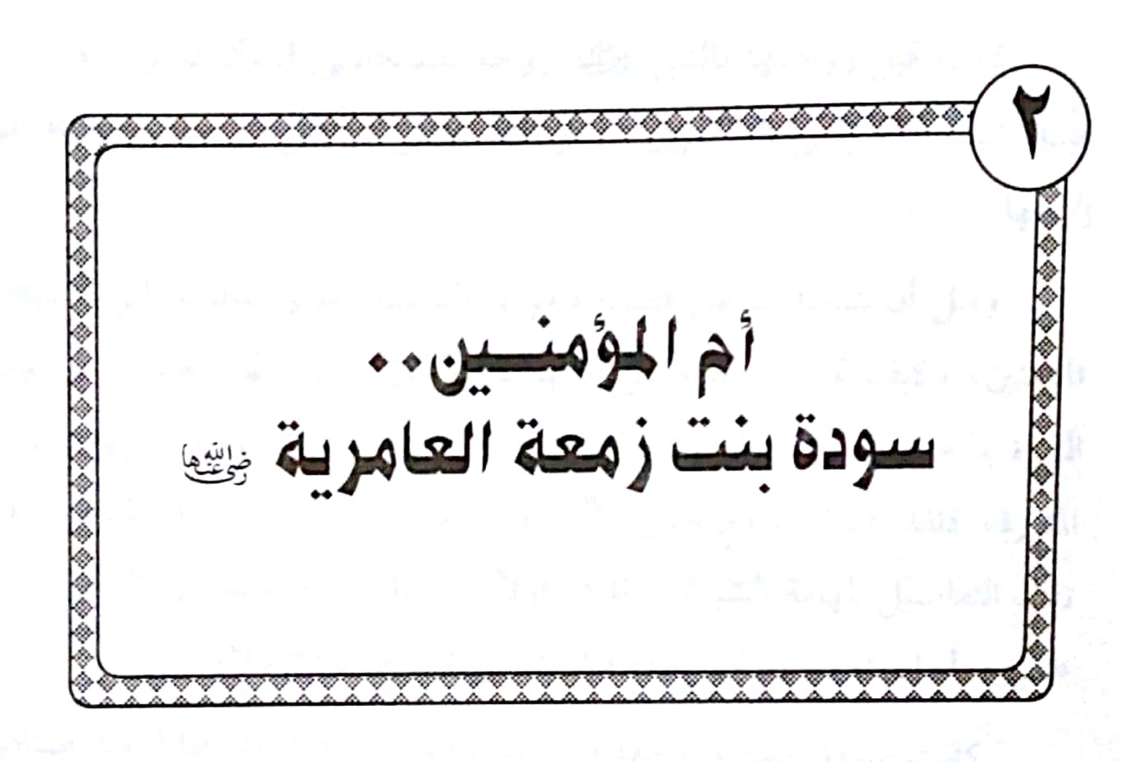
ولكنها ظلت فى قلب ووجدان النبى ﷺ يذكرها دومًا، ويشهد لها بالوفاء حتى أنه قال لعائشة رضي الله عنها حين غارت منها وهى ميتة فقالت له -أى عائشة-: كان رسول الله رضي الله عنه إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها، واستغفارٍ لها فذكرها يومًا فحملتنى الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله عنها من كبيرة فى السن! فرأيته غضب غضبًا شديدًا، أسقطت فى خلدى، وقلت فى نفسى: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عنى لم أعد أذكرها بسوء، فلما رأى النبى ﷺ ما لقيت قال: «**كيف قلت؟ والله لقد آمنت بى إذ كذبنى الناس وآوتنى إذ رفضنى الناس، ورزقت منها الولد وحُرمتموه منى**»[1].

لقد كان هذا الموقف وغيره دليلاً على قدر تلك السيدة الفاضلة العظيمة ومدى حب رسول الله ﷺ لها.

إنها من سيدات أهل الجنة الأربعة رضوان الله عليهن أجمعين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ وآسية امرأة فرعون[2].

(١) ذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم وصححه الذهبى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم: خديجة وفاطمة وآسية امرأة فرعون**».
وفى رواية للإمام أحمد فى مسنده والطبرانى والحاكم أنه قال ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**».


٢
أم المؤمنين..
سودة بنت زمعة العامرية رضي الله عنها

[٢] سودة بنت زمعة العامرية رضي الله عنها

هى ثانى زوجة للنبى ﷺ بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، وظلت معه بمفردها ثلاث سنوات قبل دخوله على السيدة عائشة رضي الله عنها بالمدينة المنورة.

إنها أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية رضي الله عنها.

كانت قبل زوجها بالنبى رضي الله عنه زوجة للصحابى السكران بن عمرو بن عبد شمس القرشى العامرى، أخو الصحابى سهيل بن عمرو وابنة عم زوجها.

وقبل أن نتحدث عن قصة دخولها البيت النبوى لتكون ثانى أمهات المؤمنين، وكيف تميزت بميزة عن أمهات المؤمنين كلهن أنها عاشت فى بيت النبوة بمكة المكرمة قبل الهجرة ثم كانت أول من دخلت البيت النبوى بالمدينة المنورة، فلقد عاشت مع النبى ﷺ زوجة بمكة والمدينة.. قبل الدخول فى تلك التفاصيل الهامة الشيقة، نذكر أولاً.. أنها زوجة الصحابى السكران بن عمرو، أسلمت مع زوجها بمكة فكانت من السابقات للإسلام.

كانت سودة رضي الله عنها وزوجها من علية القوم، وذاك ما اغتاظ منه صناديد الكفر بمكة، فراحوا يتفننون فى التنكيل بهم، الأمر الذى دعى رسول الله ﷺ هؤلاء المؤمنين الصابرين بالهجرة إلى الحبشة، فهاجرت سودة وزوجها السكران بن عمرو إلى الحبشة فى الهجرة الثانية[١]. مع النفر الثمانية من بنى عامر الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم وركبوا البحر قاصدين بلاد الحبشة كما أمرهم النبى ﷺ.

وظلت سودة وزوجها صابرين إلى ما شاء الله بالحبشة حتى عادا إلى

(١) طبقات ابن سعد.

مكة مرة أخرى، وعقب العودة إلى مكة مرض الزوج مرضًا شديدًا ومات ﵁.

وعادت سودة إلى بيت أبيها صابرة صامدة مؤمنة.

ويروى أن سودة رأت قبل وفاة زوجها رؤيا فى منامها كأن النبى ﷺ أقبل يمشى حتى وطىء عنقها، فأخبرت زوجها فقال لها: لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجك رسول الله ﷺ.

ورأت فى منامها مرة أخرى أن قمرًا أنقض عليها وهى مضطجعة فأخبرت زوجها فقال: وأبيك لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيرًا حتى أموت وتتزوجين من بعدى(١).

وقد تحققت رؤياها كما سنعرف بإذن الله.

زواجها بالنبى ﷺ

اختلف أصحاب السير والحديث فى زمن زواجها بالنبى ﷺ، هل قبل عائشة ﵂ أم بعدها، لكن المتفق عليه والذى أجمعوا عليه أنه تزوجها بمكة قبل الهجرة.

وقد عرض لتلك المسألة ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية وشرح الأحاديث الواردة فى هذه المسألة وانتهى إلى أن النبى ﷺ عقد عقدة النكاح على السيدة عائشة ﵂ بمكة قبل الهجرة ولم يدخل بها إلا بعد الهجرة إلى المدينة فى العام الأول أو الثانى، أما السيدة سودة فقد تزوجها بعد أن عقد على السيدة عائشة ﵂ بمكة وهذا يتضح لنا من كيفية زواجه ﷺ من السيدة سودة وعائشة فى آن واحد!.

(١) طبقات ابن سعد.

جاءت لرسول الله ﷺ خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت:

- يا رسول الله، ألا تتزوج؟.

قال: من؟

قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا.

قال: فمن البكر؟.

قالت: أحب خلق الله إليك.. عائشة ابنة أبى بكر.

قال: ومن الثيب؟

قالت: سودة بنت زمعة.. قد آمنت بك واتبعتك.

قال: فاذهبى فاذكريهما على.

فدخلت بيت أبى بكر فقالت: يا أم رومان -زوجة أبى بكر- ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

قالت: وما ذاك؟

فقالت -أى خولة بنت حكيم-:

- أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قالت: انظرى أبا بكر حتى يأتى.

فجاء أبو بكر.. فقالت له: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة.

قال: وما ذاك؟.

قالت: أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قال: وهل تصلح له إنما هى ابنة أخيه.

، فذكرت ذلك له.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له.

فقال: ارجعى إليه فقولى له أنا أخوك وأنت أخى فى الإسلام، وابنتك تصلح لى.

فرجعت فذكرت ذلك له فقال لها أبو بكر:

- انتظرى.. وخرج.

قالت أم رومان أن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الصبى فقالت: يا ابن أبى قحافة، لعلك مصبى صاحبنا تدخله فى دينك الذى أنت عليه أن تزوج إليك!

فقال أبو بكر للمطعم بن عدى: أقول هذه؟ يقول إنها تقول ذلك؟ فكان ذلك دليل على رجوع المطعم بن عدى فى خطبة ابنه لعائشة.

فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان فى نفسه من عدته -وعده- التى وعده.. فرجع إلى خولة فقال لها:

- ادعى لى رسول الله ﷺ.

فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت:

- ما أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

فقالت سودة:

- وما ذاك؟

قالت: أرسلنى رسول الله أخطبك إليه.

قالت: وددت.. ادخلى إلى أبى فاذكرى ذلك له.

وكان شيخًا كبيرًا على دين قومه - فدخلت عليه وحيته بتحية الجاهلية.

فقال: من هذه؟

قالت: خولة بنت حكيم.

قال: فما شأنك؟.

قالت: ارسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة.

قال: كُفُوٌ كريم.. مـاذا تقول صاحبتك؟ -أى سودة- قالت: تحب ذلك.

قال: ادعيها إلـىَّ.. فدعتها.. فقال: إن هذه تزعم أن محمد بن عبدالله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كُفُوٌ كريم.. أتحبين أن أزوجك به؟

قالت: نعم.

قال: ادعيه لى.

فجاء رسول الله ﷺ فزوجه إياه[1].

وجاء أخوها عبد الله من الحج فجاء يحثى التراب على رأسه حين علم بأمر النكاح فقد كان على الشرك وقتها ثم أسلم بعد ذلك وقال: إنى لسفيه يوم أحثى فى رأسى التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة.

ويتضح لنا من تلك الرواية أن زواج سودة رضي الله عنها وعائشة رضي الله عنها فى وقت واحد ولكن الزواج لعائشة تم قبل سودة دون دخول حيث الدخول فى المدينة

(1) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن عائشة رضي الله عنها. وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية أيضًا.

وذكر ابن القيم فى زاد الميعاد جـ١: ثم تزوج بعد موتها -أى السيدة خديجة- بأيام سودة بنت زمعة القرشية، وهى التى وهبت يومها لعائشة ثم تزوج بعدها أم عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق.

بعد الهجرة لصغر سنها، أما سودة فقد دخلت بيت الزوجية عقب إجراء العقد بمكة، فكانت أول زوجة بعد السيدة خديجة رضي الله عنها تدخل البيت النبوى فى السنة العاشرة من البعثة وانفردت به نحو ثلاث سنوات أو أكثر حتى لحقت ببيت الزوجية عائشة رضي الله عنها.

سودة فى بيت النبوة

غمرت سودة سعادة عارمة، وتلاشت سنوات الأحزان والغربة.. لقد أنعم الله عليها فأصبحت زوجة رسوله ﷺ وأمًا للمؤمنين، إنه لشرف عظيم..

لقد تحققت رؤياها.. وأصبحت حقيقة وهاهى الآن فى بيت النبوة.. زوجها رسول الله ﷺ.. ترعى بناته وشئون البيت النبوى كله.. ساعدها ملاحة أخلاقها، وخفة ظلها.. رغم ثقل جسمها.. إلا أنها كانت خفيفة الظل.. طيبة العشرة.

لقد تجاوزت مرحلة الصبا بكثير ودخلت فى مرحلة الكهولة.. لذلك فهى مدركة تمامًا أن النبى ﷺ تزوجها مواساة لحالها، وتعويضًا لها عن معاناتها فى سبيل الدعوة من الهجرة والغربة ثم فقد العائل والزوج وهى فى سن قد تقدمت لا تجد زوجًا يرغب فى مثلها.. فكان هذا الزوج أو التكريم كى يمسح عنها كل ذلك.

وحاولت سودة جاهدة أن تخفف عن رسول الله ﷺ ما يجد من إيذاء المشركين له بمكة، تُهيئ له البيت للراحة وتقوم بخدمة أولاده وترعى شئون بيته.. واستقبلت رقية رضي الله عنها عند عودتها مع زوجها عثمان بن عفان من الحبشة، وعاشت معها كما كانا فى الهجرة بالحبشة أخوات فى الله.

وحين هاجر رسول الله ﷺ مع صاحبه أبى بكر الصديق إلى المدينة،

واستقر به الحال هناك بعث زيد بن حارثة معه مولاه أبا رافع وأعطاهما بعيرين ومبلغًا من المال كى يأتوا بأهل البيت النبوى بمكة.. فاطمة الزهراء وأم كلثوم وزوجته سودة وأم أيمن زوجة زيد بن حارثة. ومربيته وابنها أسامة، وبالفعل وصل الركب المبارك إلى المدينة سالمًا حيث رسول الله ﷺ وعاشت سودة فى البيت النبوى بالمدينة تقوم على شئونه، حتى جاءت السيدة عائشة رضي الله عنها ثم جاءت أخريات بعد ذلك من زوجات النبى ﷺ.

ولما أسنت السيدة سودة رضي الله عنها أهدت يومها للسيدة عائشة رضي الله عنها طواعية، فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها، وهى راضية بأن تكون زوجة النبى ﷺ وتموت على ذلك حتى تلحق به فى الجنة كذلك[1].

ولقد أثنت عليها السيدة عائشة قائلة: «ما رأيت امرأة أحب أن أكون فى مسلاخها -هديها- من سودة بنت زمعة إلا أن بها حدة. فلما كبرت جعلت يومها من النبى ﷺ لعائشة. قالت يا رسول الله، قد جعلت يومى منك لعائشة. ذكره صاحب سير أعلام النبلاء.

وقالت له أيضًا فى رواية صاحب الطبقات ابن سعد: لكنى أحب أن أبعث فى نسائك وأنى قد جعلت يومى لعائشة.

(١) أخرج أبو داود فى سننه عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة: يا ابن أختى، كان رسول الله لا يفضل بعضنا على بعض فى القسمة، من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التى هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وخافت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله، يومى لعائشة فقبل رسول الله ﷺ منها.. قالت تقول فى ذلك أنزل الله تعالى وفى أشباهها أراه قال: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ سورة النساء: ١٢٨.

وقد أخرج البخارى ومسلم الحديث فى باب الرضاع جواز أن تهب المرأة من زوجها لضرتها.. كما جاء فى الإصابة فى تمييز الصحابة للعسقلانى، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر.

ومن فضائل سودة بنت زمعة ﵂ أن الله -عز وجل- أنزل فى شأنها قرآنًا، فقد ذكر جمهور المفسرين والعلماء أن أسباب نزول الآية من سورة النساء ١٢٨ ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. وهذا ما يؤيده الحديث النبوى الذى أخرجه الترمذى والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس ﵄ قال: خشيت سودة أن يطلقها النبى ﷺ. فقالت: لا تطلقنى وأمسكنى واجعل يومى لعائشة، ففعل فنزلت قوله: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ الآية.

لقد كان حرصها على أن تظل أمًا للمؤمنين وزوجة لنبى الله ﷺ فى الجنة أن تهب يومها لعائشة راضية، فقد كبر سنها ولا تريد من زوجها ما تريد النساء، فكانت ثاقبة النظر والبصيرة.. قوية الإيمان ﵂.

وقد روى عن السيدة سودة بنت زمعة ما يقرب من خمسة أحاديث منها حديث واحد عند البخارى[(١)].

وخرجت سودة بنت زمعة ﵂ مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع، وفى ليلة المزدلفة حيث النفرة من عرفات استأذنت سودة من النبى ﷺ أن تدفع قبل زحام الناس لأنها كانت بطيئة الحركة فأذن لها.. وقد روت ذلك عائشة ﵂ قال: نزلنا المزدلفة، فاستأذنت النبى ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس.. فأذن لها فدفعت قبل حطمة الناس، وأقمنا حتى أصبحنا

(١) أخرج البخارى بسنده عن الشعبى عن عكرمة عن ابن عباس ﵄ عن سودة زوج النبى ﷺ قالت. مات لنا شاة فدبغنا مسكها، ثم ما زلنا ننبذ حتى صارت شنًا. مسكها: جلدها شنًا: قربة ماء عتيقة.. وفى الحديث جورت الانتفاع بجلد الشاة الميتة ورواه أحمد فى مسنده بسنده عن أم المؤمنين سودة بنت زمعة قالت: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أبى شيخ كبير لا يستطيع أن يحج. قال: «أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه قبل منك».
قال: نعم.
قال: «فالله أرحم، حج عن أبيك».

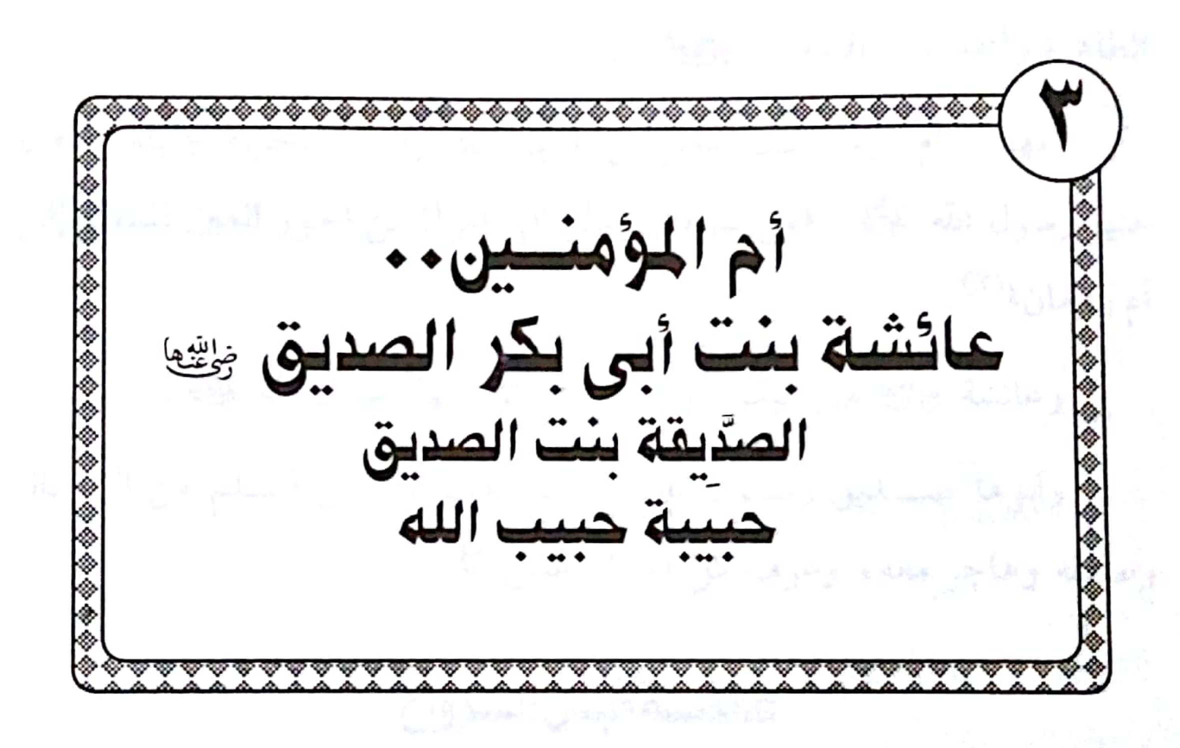
نحن، ثم دفعنا بدفعة، فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة أحب إلىّ من مفروح به[(١)]. والحطمة هى زحام الناس فى الحج وفى رمى الجمرات.

ولم تخرج سودة بنت زمعة إلى الحج أو العمرة بعد وفاة النبى ﷺ، وكانت تقول: حججت واعتمرت فأنا أقّر فى بيتى كما أمرنى الله -عز وجل-[(٢)].

وعاشت بعد وفاة رسول الله ﷺ وقد مات وهو راضٍ عنها، وكانت تسارع فى الصدقات. لا يستقر عندها مال حتى تنفقه فى سبيل الله.. فكان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يرسل لها الدراهم فلا تستقر عندها حتى تفرقها على الفقراء من المسلمين.

وعاشت عابدة مؤمنة راضية حتى لحقت بالرفيق الأعلى فى آخر خلافة عمر بن الخطاب وقد قاربت الثمانين من عمرها عام ٢٣هـ. ﵂ فى جنات النعيم.

(١) أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن القاسم بن محمد عن عائشة. حديث رقم (١٦٨٢) فتح البارى وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب الحج والنسائى وابن سعد وغيرهم.
(٢) الطبقات لابن سعد.


٣
أم المؤمنين..
عائشة بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنها
الصِّديقة بنت الصديق
حبيبة حبيب الله

[٣] أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنها

إنها الصِّديقة بنت الصديق.. المبرأة فى كتاب الله..

أم المؤمنين.. عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، القرشية المكية.. الفقيهة العابدة الطاهرة وأفقه نساء الأمة.. رضي الله عنها(١).

أمها.. أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية.. صحابية جليلة.. قال عنها رسول الله ﷺ: **«من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان»**(٢).

وعائشة رضي الله عنها هى البكر الوحيدة التى تزوجها رسول الله ﷺ.

وأبوها صديق رسول الله ﷺ له فكان أول من أسلم من الرجال وصدقه وهاجر معه، وعرف كل أحوال النبى ﷺ.

عائشة قبل الزواج

ولدت عائشة رضي الله عنها بعد أربع أو خمس سنوات من البعثة المحمدية بمكة، **وأسلمت هى وأختها أسماء وهى مازالت صغيرة، قالت عن نفسها: لم أعقل أبواى قط إلا يدينان الدين»**(٣).

(١) تكنى السيدة عائشة بأم عبد الله قيل: كناها رسول الله ﷺ على اسم ابن أختها عبد الله ابن الزبير وقيل: إنها أسقطت من رسول الله ﷺ سقطًا فسماه عبد الله ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية والله أعلم.

(٢) الإصابة فى تميز الصحابة والطبقات لابن سعد وكنزل العمال.

(٣) أخرجه البخارى ويدينان بدين أى مسلمان.

وتربت فى أحضان أبوين مؤمنين كريمين، أبصرت عينها شمس الإسلام منذ خرجت إلى الحياة.

وقبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ أتاه الملك بها فى المنام فى سرقة من حريرة مرتين أو ثلاثًا، فيقول له: هذه زوجتك. قال رسول الله ﷺ: فاكشف عنها فإذا هى أنت، فأقول: أن يكن هذا من عند الله يمضه[1].

وقد خطبها رسول الله ﷺ فى مكة وعقد عليها ولم يدخل بها كما ذكرنا إلا بالمدينة بعد الهجرة كما سنعرف. وشهدت عائشة (رضي الله عنها) حادث الهجرة، حين جاء رسول الله ﷺ دارهم وقت الضحى، فى ساعة لم يكن يأتيهم فيها.. وقال لأبى بكر (رضي الله عنه):

- أخرج من عندك.

ولم يكن بالبيت سوى عائشة وأسماء ابنتى أبى بكر.

فقال أبو بكر (رضي الله عنه):

- إنما هما ابنتاى، وما ذاك فداك أبى وأمى.

قال رسول الله ﷺ مطمئنًا:

- قد أذن لى فى الخروج والهجرة.

صاح الصديق (رضي الله عنه) فرحًا:

- الصحبة يا رسول الله.. الصحبة.

وبكى أبى بكر (رضي الله عنه) من الفرح لصحبته للنبى ﷺ فى الهجرة إلى المدينة المنورة، حتى قالت عائشة (رضي الله عنها):

- ما شعرت قط قبل اليوم أن أحد يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى من الفرح لصحبته لرسول الله ﷺ.

(١) أخرجه البخارى.

دخولها البيت النبوى

ذكر ما حدث من أمر زواج النبى ﷺ من السيدة سودة بنت زمعة.. وكيف ذكرت له السيدة خولة بنت حكيم وأشارت عليه بزواجه من ابنة صديقه البكر عائشة.. وكان عمرها ست أو سبع سنوات وقد جاء الوحى من الله فى منامه بصورتها على أنها زوجته.. وذهبت خولة بنت حكيم إلى بيت أبى بكر أولاً وأجرت مراسم الخطبة وتم الزواج دون الدخول لصغر سنها[1].

وبعد الهجرة للمدينة المنورة واستقر الحال بالنبى ﷺ وصاحبه أبى بكر الصديق (رضي الله عنه)، بعث النبى ﷺ زيد بن حارثة ومولاه أبا رافع ومعهما بعيران ومال يكفى لهجرة بناته وزوجته سودة من مكة، وأرسل أبو بكر الصديق ولده عبد الله ليحضر زوجته أم رومان وأسماء وعائشة (رضي الله عنهن)، وعاشت فى بيت أبيها قرابة عامين حتى غزوة بدر الكبرى، وقد بلغت تسع سنوات من عمرها، وفى شهر شوال وعقب انتصار المسلمين فى بدر الكبرى، كان الفرح وإتمام الزواج بالدخول.

وفى اليوم الموعود اجتمع الرجال والنساء مهنئين فى بيت أبى بكر (رضي الله عنه)، وجاءت أم رومان إلى ابنتها عائشة العروس وجهزتها وأدخلتها البيت وسط النساء من الأنصار فقالت الصحابية أسماء بنت يزيد:

- على الخير والبركة وعلى خير طائر.

وأصلحن النساء من شأنها.. كما يفعل بأى عروس فى يوم هذا.. ثم أدخلتها أمها على رسول الله ﷺ فأجلستها فى حجرة ثم قالت:

- هؤلاء أهلك يا رسول الله، فبارك الله لك فيهن، وبارك لهن فيك.

وانصرف الموجودين من الرجال والنساء، وبنى رسول الله ﷺ بعائشة.

(١) جاء ذكر القصة بتمامها فى سيرة السيدة سودة بنت زمعة فى هذا الكتاب فليراجع.

ولم تذبح شـاة أو جزور ولكن الصحابى سـعد بن عـبادة الأنصـارى أرسل بطعام ولبن فشرب منه النبى ﷺ وعائشة ﵂.

كانت حفلة متواضعة مباركة.. كسها النور الإلهى.. وقد يقول قائل: ولماذا لم يذبح شاة على الأقل كوليمة لهذا العرس، وهذا من هدى النبى ﷺ.. قد يكون قلة ذات اليد هو الذى أدى إلى ذلك.. وهذا دليل على أن قلة المال لا يمنع من الزواج أو عمل حفل زواج.. وأن ما نراه من حفلات زواج ينفق فيها أهل العروسين الكثير والكثير من الأموال حتى وصل إلى الملايين من الجنيهات أمر مبالغ فيه، وهو تبذير للأموال ولا يأتى بمنفعة للمسلمين، إنه هو إلا مظهر من مظاهر الرياء والزينة المنهى عنها شرعًا وعقلاً.. فهذا هو حفل زواج أفضل خلق الله وسيد الخلق على أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق ﵂.. فهل من متبع لرسول الله ﷺ.

عائشة فى البيت النبوى

لم يكن بيت الزوجية قصرًا مشيدًا فخمًا.. أو حتى بيتًا عاديًا، إنما هو حجرة متواضعة ضمن حجرات زوجات النبى ﷺ، بحذاء جانب المسجد النبوى وهى موجودة ومغلقة حتى الآن، يراها من يذهب لزيارة المسجد النبوى بالمدينة قد دخلت ضمن المسجد ولكنها ما زالت محاطة بسور ومغلقة، أول الحجرات هى حجراة عائشة وفيها مات النبى ﷺ ودفن فيها وخلف القبر النبوى الشريف باقى حجرات زوجاته.

بدأت عائشة ﵂ حياتها فى البيت النبوى.. حياة حافلة بالأحداث الهامة، سمعت منه الأحاديث التى نقلتها إلى الأمة من بعده، واكتملت شخصيتها ونضجت فقد كانت زوجة وهى بنت تسع سنوات، وكان رسول الله ﷺ يعاملها بحنو وعطف ورحمة، فكان يأتى بصواحبتها ليلعبن معها، وترك لها ألعابها وعرائسها كما كان فى بيت أبيها تلعب بها.

روى البخارى وغيره عن السيدة عائشة ﵂ أنها قالت: كنت ألعب بالبنات -عرائس لعب- فيجيء صواحبى، فينقمعن(1) من رسول الله ﷺ فيخرج رسول الله فيدخلن علىّ، وكان يسر بهن إلىّ، فيلعبن معى.

وذات يوم دخل عليها رسول الله ﷺ وهى تلعب بالعرائس البنات ومنها خيل لها أجنحة.. فسألها: «**ما هذه يا عائشة؟**» قالت: خيل سليمان ولها أجنحة، فضحك(2).

لقد كان الرسول الكريم صلوات ربى وسلامه عليه قد قدر صغر سنها وحداثتها، فكان يدخل عليها السرور كأنها إحدى بناته الصغيرات حتى حين كبرت فى السن قليلاً..

فقد روت السيدة عائشة أن النبى ﷺ كان قد جعلها تنظر إلى وفد الحبشة الذى كان يلعب بعد ألعاب الحروب فى المسجد، فجعلها تنظر إليهم وهو يسترها برداءه حتى سأمت(3).

فقد كان سعة صدره وحلمه لا يفوقهما حد ﷺ.

وكبرت عائشة فى بيت النبوة.. وخرجت مع النبى ﷺ فى غزواته مع نساء المسلمين تشارك فى سقاية الجرحى حتى نزلت آية الحجاب، فامتنع على نساء المسلمين الخروج فى الحروب كما كن يخرجن لسقاية الجيش وعلاج الجرحى فى مؤخرة الصفوف.

لقد عاشت السيدة عائشة حياة حافلة بالأحداث الجسام.. تسمع وتشاهد وتشارك.. ونزل فيها قرآن يتلى إلى يوم القيامة كما سنعرف من خلال حادثة الإفك الشهيرة.

(1) يخرجن خوفًا من النبى ﷺ.
(2) رواه أبو داود وطبقات ابن سعد رواية عن عائشة ﵂.
(3) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

حادثة الإفك

الإفك هو الافتراء والكذب.. والواقعة حدثت فى العام السادس الهجرى.

وتروى كتب الحديث والسيرة أن المسلمين خرجوا لغزوة بنى المصطلق، وكانت عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله ﷺ، فقد يقترع بين نساء فى سفره وغزواته، انتصر الجيش المسلم وفى أثناء عودته إلى المدينة.. عسكر الجيش قرب المدينة للراحة ليلاً فترة من الوقت.. ثم انصرفوا وعندما وصل الركب للمدينة وجد بعير السيدة عائشة رضي الله عنها دونها.. اكتشف القوم أنها لم تكن راكبة فى هودجها على البعير.

ولم يَمْضِ وقتًا طويلاً حتى ظهرت قادمة مع جمل آخر يقوده رجل من الأنصار يسمى صفوان بن المعطل السلمى.. واطمأن النبى ﷺ عليها وكذلك المسلمون.. ولم ينكر أحد عليها شيئًا.. لأنهم علموا منها أنها تخلفت لقضاء حاجتها قبل أن يؤذن فى الناس بالرحيل وفقدت عقد كان فى عنقها بعد عودتها من قضاء حاجتها، وذهبت تلتمسه فى رحلها فلم تجده، فرجعت إلى المكان التى كان به لقضاء الحاجة لعلها تجده.. وبالفعل وجدته هناك.. وعادت إلى هودجها.. فوجدت القوم ذهبوا ببعيرها دون أن يشعروا بأنها غير موجودة معهم. وجلست السيدة عائشة فى مكانها وغطت نفسها بجلبابها.. لأنها تأكدت أنهم سيعودون إليها عندما يكتشفون غيابها.

ولم يمر وقت طويل حتى ظهر الصحابى صفوان السلمى الأنصارى وكان قد تخلف عن معسكر الجيش أيضًا لقضاء بعض حاجته، وعرف السيدة عائشة رضي الله عنها.. فقال: إن لله وإنا إليه راجعون.. زوجة رسول الله، ما خلفك يرحمك الله!

ولم ترد عليه.. فقرب إليها البعير.. وقال: اركبى.. وتأخر عنها حتى

ركبت، وأخذ بزمام البعير وانطلق سريعًا نحو المدينة ليلحق بالجيش ووصل المدينة فى الصباح عقب وصول الجيش.

إلى هذا الحد فالأمر عاديًا.. لا شىء فيه..

لكن اليهود والمنافقين بالمدينة وعلى رأسهم زعيم المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول، أخذ يتحدث ويؤكد ويقول: والله لقد نال منها ونالت منه.. وانتشرت الشائعات والقصص حول هذا الموضوع، حتى بلغ الحديث بل الاتهام إلى رسول الله ﷺ، وعقب وصول عائشة من الرحلة مرضت.. مرضًا شديدًا من إرهاق السفر.. فلم تسمع ما يقال فى المدينة من شائعات حولها تتهمها هى وصفوان السلمى ومرت الأيام.. أكثر من عشرون يومًا، وعائشة مريضة لا تدرى.. فقد انتقلت إلى بيت أمها كى تمرضها، بعد أن رأت الجفاء فى معاملة رسول الله لها، ولم تكن تلك عادته معها فاستأذنت لتمرضها أمها فأذن لها.. ولم تدرِ عائشة بحادثة الإفك تلك إلا بعد أكثر من عشرين يومًا وهى فى بيت أبيها من سيدة من المسلمين تسمى أم مسطح فازدادت مرضًا على مرض، وظلت تبكى يومها كله لا يرفأ لها دمع ولا تكتحل بنوم.

وتقول عائشة رضي الله عنها: فبينا أبواى جالسان عندى وأنا أبكى دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم، ثم جلس، ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهرًا لا يُوحى إليه فى شأنى شىء.. فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: **«يا عائشة إنه بلغنى عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه»**.

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قل من دمعى فى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبى: أجب عنى رسول الله ﷺ فيما قال، فقال أبى: والله ما أدرى

ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال:

قالت أمي: فوالله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

فقلت: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرت أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت: إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر الله يعلم أني بريئة منه لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ سورة يوسف: ١٨.

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببرائي ولكن والله ما كنت أظن أن الله تعالى منزل في شأني وحيًا يتلى، لشأني في نفسي، كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام الله رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه لينحدر منه العرق مثل الجُمان وهو في يوم شات -شتاء- من ثقل القول الذي أنزل عليه، وغطى نفسه بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه. فسرّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: ابشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك. وتنفس أبو بكر الصعداء وقالت أم رومان لابنتها:

- قومي إليه.

- لا والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله -عز وجل- الذي أنزل براءتي.

وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد معلنًا براءة عائشة ﵂ للمسلمين ويقرأ عليهم ما نزل في حقها من الآيات العشر من سورة النور:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وهكذا جاء الفرج وزال الهم من البيت النبوي بل ومن بيوت المسلمين بالمدينة.. بعد تلك الشائعة التي أحدثها المنافقون ومن شايعهم من ضعاف الإيمان.. ولقد وقف المسلمون في هذه الحادثة موقف المُنكر لحدوث الواقعة، والآخر شايع المرجفون والمنافقون في أقوالهم.. ومنهم الذي صمت فلم يتكلم بالخير أو الشر..

فهذا الصحابي أبو أيوب وزوجته ﵄ يقول لها وهو في ضيق وهم:

- يا أم أيوب، ألا ترين ما يقال؟

فقالت له أم أيوب:

- لو كنت بدل صفوان بن المعطل السُلمي، أكنت تهم بسوء لمحرم رسول الله ﷺ؟

قال في إنكار شديد:

- لا، معاذ الله أن أفكر بذلك.

قالت له زوجته: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خُنت رسول الله ﷺ، فعائشة والله خير منى وصفوان خير منك.

وقال عنها أم المؤمنين زينب بنت جحش حين سألها رسول الله ﷺ قبل نزول آيات البراءة عن عائشة ﵂:

- يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى، والله ما علمت إلا خيرًا[١].

وقد استشار رسول الله ﷺ أصحابه وقرابته فيما قال المنافقون من الإفك قبل نزول الآيات كما تحكى كتب السيرة والتفسير، فسأل أسامة بن زيد وعلى بن أبى طالب، فأشار أسامة بن زيد على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم فى نفسه لهم من الود فقال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم إلا خيرًا، وأما على بن أبى طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر.

فدعا رسول الله ﷺ بالجارية بريرة فقال:

- أى بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟

فقالت الجارية: والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله.

فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبىّ فقال على المنبر فى المسجد:

- **«يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى فوالله ما علمت على أهلى إلا خيرًا ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلى إلا معى».**

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى.

فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا بأمرك، فقام سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان رجلاً صالحًا ولكن أخذته الحمية فقال لسعد:

- كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان رهطك ما أحببت أن يقتل.

فقام أسيد بن خضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة:

- كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا بالقتال ورسول الله ﷺ لم يزل على المنبر. يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله ﷺ[١].

وذكر البخارى أن أبى بكر بعد نزول براءة عائشة ﵂ منع ما يعطيه لبعض أقاربه كان قد تكلم فى حق عائشة مع أصحاب الإفك وحلف ألا يصله فأنزل الله قوله: **﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** سورة النور آية ٢٢ .

فقال أبو بكر: بلى.. ووصله[٢].

وانتهت حادثة الإفك وأقيم حد الافتراء على من تكلم فى حق السيدة عائشة.. تنفيذًا لأمر الله وشرعه فى حد قذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

---

(١) كان ذلك قبل نزول آيات سورة النور وقبل أن يدخل رسول الله ﷺ على عائشة يسألها كما ذكرنا -والرواية كلها مما ذكره ابن كثير فى تفسير بتصرف. وذكرها البخارى وغيره فى كتبهم. ونقل عنهم ابن كثير فى التفسير كما ذكر.

(٢) وهو مسطح بن أثاثة كان ابن خالة أبى بكر ﵁ وكان مسكينًا لا مال له وكان ينفق عليه أبو بكر.

فى إحدى أسفار النبى ﷺ خرجت معه عائشة ﵂ حتى كانوا بمكان يسمى ذات الجيش أو تربان على بعد أميال من المدينة، وهو مكان لا ماء فيه، وانسلت قلادة من عنق السيدة عائشة مع الأرض، فأقام رسول الله ﷺ ومع الناس على التماسها حتى طلع الفجر وليس معهم ماء للوضوء.. فأتى الناس أبو بكر الصديق فقالوا له:

- ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت رسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء.

فجاء أبو بكر ﵁ إلى عائشة ورسول الله ﷺ نائم على فخذها فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟

وغدا أبو بكر يعاتبها وجعل يطعن بيده فى خاصرتها، ولا يمنعها من التحرك إلا مكان رأس رسول الله ﷺ على فخذها.. وأبو بكر يزيد فى عتابها ويعنفها ويقول: فى كل سفر للمسلمين منك عناء وبلاء.. وهى لا ترد ولا تتحرك.. ونام رسول الله ﷺ حتى أصبح من غير ماء وعندئذ نزل قوله تعالى:

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[1].

وقام المسلمون مع رسول الله ﷺ فتيمموا وصلوا.. وفرحوا برخصة الله لهم.. ثم وجدوا العقد المفقود تحت البعير حين أرادوا أن ينصرفوا.

وقد عاشت عائشة ﵂ بعد وفاة النبى ﷺ، تروى الأحاديث فكانت ذات ذاكرة حافظة قوية، قال ابن القيم فى «أعلام الموقعين»: إن الذين حفظت

(١) سورة النساء: ٤٧، والمائدة: ٦. والحديث ذكر فى البخارى فى أكثر من موضع فى التيمم وفضائل الصحابة وغير ذلك وأخرجه أيضًا مسلم وغيرهما.

عنهم الفتوى من الصحابة مئة ونيف وثلاثون نفسًا ما بين رجل وامرأة منهم عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وابن مسعود وعائشة أم المؤمنين.

وقد روى عن عائشة ﵂ طائفة من الصحابة وأيضًا من التابعين قال أبو موسى الأشعرى: ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا[1].

وقال عطاء بن رباح وهو من التابعين: كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأيًا فى العامة.

وقال الإمام الزهرى رحمه الله: لو جُمع علم عائشة على علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل[2].

وروى عنها أنها كانت تصوم الدهر وتكثر من أداء العمرة والحج.

وقال عنها ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[3].

وقد رأت رؤيا قصتها على أبيها: قالت: رأيت كأن ثلاث أقمار سقطت فى حجرى. فقال لها: إن صدقت رؤياك دفن فى بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض[4].

فلما دفن رسول الله ﷺ فى حجرتها قال أبو بكر: هذا أحد أقمارك وهو خيرها.

ودفن فى حجرتها أبو بكر الصديق أبيها ثم عمر بن الخطاب ﵁. وتحققت الرؤيا.

(١) أخرجه الترمذى عن أبو بردة عن أبى موسى عن أبيه أبو موسى الأشعرى وقال: صحيح غريب.

(٢) حلية الأولياء.

(٣) أخرجه البخارى ومسلم. (٤) بهجة المجالس للقرطبى ٢/٢٤٩.

وفى شهر رمضان فى السنة الثامنة والخمسين من الهجرة مرضت مرض الموت، وصعدت الروح إلى بارئها راضية مرضية ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة وقد بلغت من العمر ست وستين سنة، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه. ورضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى مثواها.

٤

أم المؤمنين..
حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
الصوامة.. القوامة
حافظة القرآن

[٤] حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها

ابنة الصحابى الجليل.. أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.. كانت زوجة للصحابى خُنيس بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى القرشى. أسلم بمكة قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم، وكان إسلامه على يد أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

تزوج خُنيس بحفصة بعد إسلام عمر بن الخطاب، وعاش الزوجين حياة مليئة بالسعادة، ترفرف على بيتهما بمكة ويشع نور الإسلام منه. فالزوج من السابقين للإسلام وكذلك الزوجة.

وقد هاجر خُنيس إلى الحبشة، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة المنورة ولكن بصحبة زوجته حفصة، وحين هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وقام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.. آخى بينه وبين أبى عبس بن جبر الأنصارى.

وعاش الزوجين حياتهما بالمدينة.. ينعمان بالسعادة وبالعلم والإيمان من رسول الله ﷺ، وحفظت الزوجة القرآن الذى كان ينزل على رسول الله ﷺ، وخرج خُنيس مع الجيش المسلم فى غزوة بدر الكبرى، وجاهد وقاتل وأبلى بلاءً حسنًا فى المعركة حتى أصابته سيوف المشركين فى أكثر من موضع من جسده وعاد إلى المدينة منتصراً مجروحًا، ولكن الزوج البطل مات بعد الغزوة بأيام متأثرًا بجراحه.

وحزنت حفصة لموت زوجها البطل الشهيد وصبرت واحتسبت، وعادت إلى بيت أبيها تواصل عبادتها من صلاة ليل وصيام نهار.. فقد ترملت وعمرها ثمانية عشر عامًا.

زواجها بالنبى ﷺ

أصبح عمر بن الخطاب رضي الله عنه حزينًا لما أصاب ابنته الشابة الجميلة من الترمل، فهداه تفكيره أن يعرض ابنته على أحد من الصحابة، وليس فى ذلك عيبًا، فإنها ابنة عمر بن الخطاب جميلة، شابة، متدينة، صوامة، قوامة حافظة لكتاب الله، فذهب إلى أبى بكر الصديق يعرض عليه الزواج من ابنته حفصة، وكله يقين بالموافقة رغم فارق السن، لكن أبا بكر الصديق صمت ولم يجب عمر.. وانصرف عمر تاركًا أبا بكر بعد أن رفض عرضه للزواج من ابنته.

وذهب عمر إلى عثمان بن عفان فهو أرمل.. قد يكون أبو بكر رفض لوجود زوجة لديه مثلاً.. وهذا عثمان لا زوجة لديه، وعرض عمر ابنته على عثمان بن عفان، وقال له: إن شئت أنكحتك ابنتى حفصة. ونظر إليه عثمان فى رقة وقال: سأنظر فى أمرى. وبعد أيام لقى عمر عثمان وذكره بعرضه السابق له فأجاب عثمان: بدا لى أن لا أتزوج فى يومى هذا.

وأحس عمر بالضيق والحزن لهذا الرفض من صاحبيه، وابنته لا ترفض، وذهب إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه ما فعله الصحابيان معه فقال له ﷺ:

- **"يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة"**[1].

وتعجب عمر كثيراً لقول رسول الله ﷺ.. **يتزوج حفصة من هو خير من عثمان**.. ترى من هو الذى يكون خيراً من عثمان.. **ومن هى التى خير من حفصة فيتزوجها عثمان.. إنه لغز محير..**

ولم يمضى وقتًا طويلاً حتى عرف اللغز.. فقد خطب رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه وأحمد فى المسند وابن سعد فى الطبقات.

حفصة ابنة عمر بن الخطاب، وتزوج عثمان بن عفان من أم كلثوم بنت محمد ﷺ.

وفرح عمراً فرحًا شديدًا لذلك.. وخرج يزف الخبر إلى المدينة كلها.

وقابله أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن أعلن عمر النبأ.. فهنئه على الزواج وقال له:

- لا تجد علىّ يا عمر -أى لا تحزن منى- فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة أمامى، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوجتها.

وهنا أدرك عمر رضي الله عنه سر رفض أبى بكر الصديق لابنته حين عرضها عليه.. لأن أبا بكر رضي الله عنه علم من رسول الله ﷺ أنه يرغب فى الزواج منها وذكر له ذلك.. فكان الأمر سرًا بالنسبة له لا يستطع التحدث عنه.

وهكذا تم زواج رسول الله ﷺ من حفصة رضي الله عنها فى السنة الثالثة من الهجرة.

حفصة فى البيت النبوى

دخلت العروس الجديد البيت النبوى وفيه سودة بنت زمعة وعائشة بنت أبى بكر الصديق فكانت ثالثة ثلاثة رضي الله عنهن.

وأوصى عمر بن الخطاب ابنته ألا تنظر إلى عائشة فقال لها: أين أنت من عائشة وأين أبوك من أبيها.

وعاشت حفصة فى بيت النبوة تنعم بالسعادة والقرب من رسول الله ﷺ، فهى شابة جميلة تقية حافظة للقرآن، إلا أن أبيها سمع يومًا أنها تراجع رسول الله فذهب إليها وسألها:

- يا بنية، هل صحيح أنك تراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان.

أجابته: نعم يا أبت والله إنا لنراجعه.

قال عمر: تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله، يا بنية، لا يغرنك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ إياها، والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك ولولا أنا لطلقك.

وتمر الأيام والسنين وحفصة فى بيت النبوة تدارى غيرتها من عائشة، فهى مثل أى امرأة تغار على زوجها.. ولكنها لم تتحرج من معارضة زوجها ﷺ حين يبدو أن الأمر لا يعجبها، وتبدى رأيها فقد سمعت رسول الله ﷺ يذكر أصحابه الذين بايعوه تحت الشجرة فى الحديبية عندما ذهبوا لأداء العمرة فمنعتهم قريش.. فقال رسول الله ﷺ:

«لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجر أحد.. من الذين بايعوا تحتها».

قالت حفصة: بلى يا رسول الله.

فانتهرها النبى ﷺ، فتلت الآية: **﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾**(1).

فقال النبى ﷺ، قد قال الله -عز وجل-: **﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾**(2).

وفى غيرة حفصة وعائشة على النبى ﷺ تحكى كتب السيرة أن عائشة وحفصة اتفقتا على السيدة زينب بنت جحش التى تزوجها النبى ﷺ فيما بعد، وكان يجلس عندها بعد زواجه بها ويشرب العسل الذى يحبه، فاتفقتا عائشة وحفصة أن تقول كل منهن له حين يدخل عليها وهو قادم من عند

(1) سورة مريم ٧١-٧٢، والحديث رواه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله بن أم مبشر الأنصارية.

زينب بنت جحش: إنى أجد ريح مغافير -أى أشم رائحة كريهة- حتى حرم رسول الله ﷺ على نفسه العسل، فعاتبهن الله -عز وجل- فى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ سورة التحريم: ١-٥.

وعندما تظاهرن عليه نساءه ﷺ، كما ذكرت كتب السيرة والتفسير أن النبى ﷺ قد أصاب جاريته مارية القبطية فى بيت حفصة وفى يومها فقالت له حفصة: أى رسول الله، فى بيتى وعلى فراشى!

فحلف لها بالله لا يصيبها. وفى رواية قال: ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها، قال: بلى. فحرمها.. وقال لها: لا تذكرى ذلك لأحد، فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله قوله -تعالى-: **﴿يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك.. الآية﴾**. «ذكره ابن كثير فى التفسير وقال إسناده صحيح».

وقد أفشت حفصة سر رسول الله ﷺ إلى عائشة وأخبره الله تعالى.

وقد هجر رسول الله ﷺ نساءه كلهن شهرًا وهو ما يسمى بالإيلاء.. وهو ليس طلاقًا وإنما تمهيدًا له.. وجلس فى خيمة بالمسجد لا يدخل عليه أحد، وأشيع فى المدينة أنه ﷺ قد طلق نساءه.. حتى فزع لذلك عمر بن الخطاب وذهب إلى رسول الله ﷺ من الخبر كما جاء فى رواية البخارى، فقد ذكر البخارى أن سبب التحريم هو شرب العسل كما ذكرنا من قبل فقد

روى البخاري في صحيحه عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير. قال: لا ولكني كنت شربت عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدًا.

وروى أحمد بسنده في مسنده عن ابن عباس قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة فتبرز ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ فقال عمر: واعجبًا لك يا ابن عباس! هي: حفصة، وعائشة. ثم قال -أي عمر- كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا إلى المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساءهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، وكان لي في دار أمية بن زيد بالعوالي، قال فغضبت يومًا على امرأتي فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله، إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت -أي عمر-: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي هلكت، لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئًا وسليني من مالي ما بدا لك ولا يغرنك إن كانت منك جارتك هي أوسم- أجمل- وأحب إلى رسول الله ﷺ منك -يريد عائشة- وكان لي جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ ينزل يومًا وأنزل يومًا فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك، وكنا نتحدث إن غسان تنعل الخيل

لتغزونا فنزل صاحبي يومًا ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال: حدث أمر عظيم. فقلت: وما ذاك أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله ﷺ نساءه. فقلت: قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنًا. حتى إذا صليت الصبح شددت عليَّ ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة. فأتيت غلامًا له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج إليَّ فقال: ذكرتك له فصمت. فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلست عنده قليلاً ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر. فدخل ثم خرج إليَّ فقال: ذكرتك له فصمت. فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر. فدخل ثم خرج إليَّ. فقال: قد ذكرتك له فصمت. فوليت مدبرًا فإذا الغلام يدعوني فقال: ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمل حصير وقد أثر في جنبه فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع رأسه إليَّ وقال: «لا». فقلت: الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قومًا نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساءهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يومًا فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. فقلت: خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي هلكت. فتبسم رسول الله ﷺ. فقلت -أي عمر-: يا رسول الله، قد دخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم أو أحب إلى رسول الله ﷺ منك فتبسم أخرى، فقلت: استأنس رسول الله؟ قال نعم.. فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت في البيت شيئًا يرد البصر إلا أهبة مقامه. فقلت: ادع الله يا

رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً وقال: **أفى شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا**. فقلت: استغفر لى يا رسول الله. وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله -عز وجل- وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن الزهرى وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وخرج عمر ﷺ من عند رسول الله ليعلن فى المسجد أن الرسول ﷺ لم يطلق نساءه.

وانتهت تلك الزوبعة بنزول الآيات من سورة التحريم وكَفَّرَ رسول الله ﷺ عن يمينه وعاد إلى نسائه وهن عابدات مؤمنات تائبات قد اخترن الله ورسوله.

وقد جاء فى كتب السيرة أن الرسول ﷺ قد طلق حفصة وراجعها بعد جاءه جبريل فقال له: إنها صوامة قوّامة وهى زوجتك فى الجنة[1].

وبعد وفاة الرسول ﷺ عاشت حفصة ﷺ فى بيت النبوة عاكفة على العبادة، وحين جمع أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ القرآن فى مصحف واحد، أوصى أن يكون هذا المصحف عند حفصة بعد موته، وظل المصحف عندها حتى خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وأراد نسخ أعداداً من المصحف لتوزيعه على الأمصار الإسلامية فطلب المصحف الذى عند حفصة ﷺ ليراجع عليه فأعطته إياه.. فكانت خير حارساً لكتاب الله، وظلت فى عبادتها حتى توفيت فى عهد معاوية بن أبى سفيان على ٤٥هـ ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة مع أمهات المؤمنين. ﷺ أجمعين.

(١) أخرجه أبو داود.

٥

أم المؤمنين..
زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها
أم المساكين
الزوجة الوحيدة التى ماتت فى حياته ﷺ
بالمدينة المنورة ٤هـ بعد خديجة رضي الله عنها

[٥] زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها

هى العابدة الزاهدة كثيرة العطف على الفقراء والمساكين حتى لُقِّبتْ بأم المساكين.. أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف الهلالية -رضي الله عنها- كانت زوجة عبد الله بن جحش الذى استشهد فى غزوة أحد(١).

وكنيتها أم المساكين هى كنية قديمة كانت تدعى بها فى الجاهلية لكثرة إطعامها المساكين وهذا ما أكده الكثير من أصحاب السِّيَر، فقد روى الطبرانى رحمه الله بسنده عن الزهرى قال: تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية وهى أم المساكين سميت بذلك لكثرة إطعامها المساكين. وقاله ابن خيثمة، ومحمد بن إسحاق فى السيرة وابن كثير فى البداية والنهاية.

ولدت السيدة زينب بنت خزيمة قبل البعثة بثلاث عشر عامًا، وشبت ونور الإسلام قد ملأ أرجاء مكة المكرمة، فكانت من أوائل من أسلم فى مكة.

وهاجرت إلى المدينة مع زوجها الذى استشهد فى أحد.. وأسلمت أمرها إلى ربها وصبرت على ما أصابها من الترمل وكان ذلك فى العام الثالث الهجرى. وبعد انقضاء عدتها خطبها رسول الله ﷺ وأصدقها أربعمئة درهمًا، وبنى لها حجرة بجوار حجرات نساءه عائشة وسودة وحفصة، وأصبحت إحدى أمهات المؤمنين.

(١) ذكر صاحب السيرة النبوية أنها كانت قبل زواجها بالنبى ﷺ زوجة الطفيل بن الحارث ثم خلفه عليها أخوه عبيدة بن الحارث الذى مات شهيدًا، ولكن الذى ترجح ما قاله الزهرى أنها كانت زوجة عبد الله بن جحش وهذا ما ذكره أيضًا ابن حجر فى الإصابة وقد روى الطبرانى عن محمد بن إسحاق بسنده أنها كانت عند الطفيل بن الحارث بالمدينة وطلقها وتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث وقتل يوم بدر والله أعلم.

واستمرت زينب بنت خزيمة على عهدها من إطعام المساكين وإخراج الصدقات، والعبادة لله وهى سعيدة راضية.

ولم تَمْضِ شهوراً قليلة فى بيت النبوة.. قيل شهرين أو ثلاثة ولم تزد عن ثمانية أشهر.. قد توفيت أم المساكين فى هدوء فى العام الرابع الهجرى وعمرها حوالى الثلاثين عاماً، ودفنت فى البقيع وصلى عليها رسول الله ﷺ، فهى الزوجة الوحيدة بعد خديجة رضي الله عنها التى توفيت فى حياته ﷺ وأرضاها.

٦

أم المؤمنين..
أم سلمة هند بنت أبى أمية رضي الله عنها
بنت زاد الراكب.
آخر أمهات المؤمنين وفاة

[٦] أم سلمة هند بنت أبى أمية رضي الله عنها

كانت ذات نسب عريق فى قومها، أبوها أحد رجال قريش المشهورين بالجود والكرم هو أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى، وقد لُقِّبَ بـ «زاد الركب» لأنه كان لا يسافر معه أحد إلا كفاه من زاده.

أسلمت أم سلمة وزوجها الأول ابن عمها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بمكة قديمًا وهما من أوائل من أسلموا وهاجروا إلى الحبشة، وزوجها ابن عمة رسول الله ﷺ برّة بنت عبد المطلب. وأخوه من الرضاعة. قيل عنها: إنها من أجمل النساء وأشرفهن نسبًا(١).

وعاشت أم سلمة مع زوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى حياة هانئة سعيدة بمكة، ونالهما نصيب من اضطهاد قريش للمسلمين الأوائل فى مكة حتى أذن رسول الله ﷺ لهم بالهجرة إلى الحبشة فهاجروا وعاشت هناك فى دار الهجرة مع المهاجرين الأوائل، وفى الحبشة ولدت ابنتها زينب ثم ولدت الابن سلمة وعمر ودَّرة.

وعاد الزوجان من الحبشة إلى مكة مرة أخرى، فإذا بقريش على عهدها من إيذاء المسلمين، وعلم أبو سلمة أن بعض أهل المدينة قد بايعوا النبى ﷺ وأن الإسلام قد انتشر هناك وأذن لهم الرسول ﷺ فى الهجرة إليها، وأراد أبو سلمة أن يهاجر بأهله إلى هناك، وتجهز لذلك.

وتحكى كتب السيرة مأساة أسرة أبى سلمة فى الهجرة إلى المدينة، رواية عن أم سلمة رضي الله عنها فتقول: إنه لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة وصل

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى.

على بعيره، ثم حملنى عليه وحمل معى ابنى سلمة فى حجرى، ثم خرج بى يقود بى بعيره، فلما رآه بنو المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيتك صاحبتك هذه، علام نتركك تسير فى البلاد؟

فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذونى معهم، وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة، فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ انتزعتموها من صاحبنا.

فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم، حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد -أهل أبو سلمة- وحبسنى بنو المغيرة -أهلها- عندهم.

وانطلق أبو سلمة إلى المدينة مهاجراً بمفرده، وكانت أم سلمة تخرج كل يوم صباحاً تبكى فى الملاء قرابة عام حتى مر بها رجل من بنى أعمامها فرأى حالها ورحمها وقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين ولدها؟ فقالوا لها: الحقى بزوجك إن شئت ورد بنو عبد الأسد إليها ابنها.

وارتحلت على بعير وخرجت وابنها الصغير تريد المدينة بمفردها ليس معها إلا الله -سبحانه وتعالى- ووصلت بالبعير إلى التنعيم -وهى على حدود مكة وبها مسجد العمرة الآن حوالى ثلاثة أميال- لقيها عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ولم يكن قد أسلم، وقال لها:

- إلى أين يا بنت أبى أمية؟

فقالت: أريد زوجى بالمدينة.

قال: أو ما معك أحد؟

قالت: لا والله، إلا الله وبنَى هذا.

قال: والله مالك من مترك.

وأخذ بخطام البعير وانطلق به معها نحو المدينة المنورة، ورأت منه فى الطريق الكرم والأدب فكان إذا أراد أن يستريح فى الطريق أناخ البعير واستأخر عنها حتى تنزل من على بعيرها، ثم ينام تحت شجرة، ثم يقوم فيقدم بعيرها كى تركبه، وما زال هكذا حتى وصل الركب إلى قرية بنى عمرو ابن عوف بقباء على حدود المدينة المنورة فقال لها:

- زوجك فى هذه القرية فادخليها على بركة الله ثم انصرف عائداً إلى مكة.

وقد أسلم عثمان بن طلحة بعد ذلك وحسن إسلامه. وقد قالت عنه أم سلمة: ما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة(١).

وعاشت أم سلمة مع زوجها بالمدينة تربى أولادها على تعاليم الإسلام الحنيف، وفى غزوة بدر الكبرى كان أبو سلمة من طلائع المجاهدين الذين أبلو فيها بلاءً حسنًا. ونال شرف الانتساب إلى البدريين الذين ﵃ وغفر لهم فكانوا خير أهل الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد عام من غزوة بدر الكبري عاد المشركون للانتقام فى أحد، وكانت المعركة الشهيرة الذى قُتل فيها سبعون من صحابة رسول الله ﷺ، وقاتل أبو سلمة قتال الأبطال الأشاوس حتى جرح جرحاً أليماً غائراً، وعاد من المعركة بجرحه وبرأ جرحه فى المدينة. ولكن التئام الجرح كان سطحياً.

وخرج أبو سلمة فى سرية حرب لرسول الله ﷺ مع المسلمين، فقد أرسله رسول الله ﷺ قائداً لتلك السرية، وعادت السرية منتصرة على عدوها ومعها الغنائم ولكن أبا سلمة قد ثار جرحه ومرض مرضاً شديداً.

(١) القصة بتصرف من السيرة النبوية وزاد المعاد والإصابة ومعظم كتب السيرة. وهى أول ظعينة دخلت إلى المدينة المنورة مهاجرة وقيل دخلت قبلها ليلة بنت أبى حثمة زوجة عامر ابن ربيعة ﵁ والله أعلم.

وسجى أبو سلمة فى فراش الموت وزاره رسوله ﷺ ودعا له بالخير.

ومات أبو سلمة وصلى عليه رسول الله ﷺ وكبر عليه تسع تكبيرات

فقيل له: يا رسول الله، أسهوت أم نسيت؟

قال: **«لم أسه ولم أنس ولو كبرت على أبى سلمة ألفًا، كان أهلاً لذلك»**.

وقبل موته دعا أبو سلمة لزوجته الصابرة:

«اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلاً خيراً منى لا يحزنها ولا يؤذيها»[1].

ولما مات أبو سلمة رضي الله عنه قالت أم سلمة:

من خير من أبى سلمة؟

ورددت أم سلمة ما تعلمته من رسول الله ﷺ من دعاء المصيبة -أى العبد الذى تصيبه مصيبة- وقالت الدعاء: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرنى فى مصيبتى وعوضنى خيراً منها[2].

ورددت أم سلمة الدعاء امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، ولكن كانت تقول فى نفسها:

- أنى أعاض خيراً من أبى سلمة؟ وأنا أرجو أن يكون الله قد أجرنى فى مصيبتى.

زواجها من النبى ﷺ

بعد وفاة زوجها أبى سلمة رضي الله عنه، تقدم لخطبتها أبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما ولكنها رفضت برفق واعتذرت لكبر سنها وعيالها الصغار.

(1) ذكره ابن سعد فى الطبقات.

(2) الحديث أن أبى سلمة حدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمره الله به من قول: «إنا لله وإنا إليه راجعون». اللهم أجرنى فى مصيبتى وعوضنى خيراً منها، إلا أجره الله فى مصيبته وكان ضمينًا أن يعوضه خيراً منها».

وتقدم إليها النبى ﷺ خاطبًا إلا أنها تمنت ذلك، ولكنها رأت نفسها قد جاوزت سن الشباب وأصبحت كبيرة لا تصلح لرسول الله ﷺ، وهو الذى تحت عصمته نساء فى سن الشباب مثل حفصة وعائشة، فأرسلت إلى النبى ﷺ تقول له:

- إنها تغير.. وكبيرة فى السن وذات عيال.

فرد عليها النبى ﷺ:

«أما إنك مسنة فأنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك، وأما العيال فإلى الله ورسوله».

ووافقت أم سلمة، وتم الزواج وذلك فى العام الرابع الهجرى شهر شوال على الصحيح من الأقوال بعد وفاة السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.

وعاشت أم سلمة فى بيت النبوة، فى بيت السيدة الأصيلة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.

فى بيت النبوة

انتقلت أم سلمة رضي الله عنها بأطفالها إلى بيت النبوة، كى تحيا فيه تكريمًا لها ولزوجها الشهيد، وتسأل أم سلمة رسول الله ﷺ:

- يا رسول الله هل من أجر فى بنىَّ أبى سلمة؟ إن أنفق عليهم؟ ولست بتاركتهم هكذا، وهكذا.. إنما هم بنىَّ.

قال: **«نعم لك أجر ما أنفقت عليهم»**.

وعندما راجع عمر بن الخطاب ابنته حفصة زوجة النبى ﷺ عندما كانت تراجع زوجها وقال لها:

- يا بنيه، إنك تراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان!

فقالت حفصة:

- والله إنا لنراجعه.

فقال عمر: تعلمين أنى أحـذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ يا بنيه! لا يغـرنك هذه التى أعجبـها حـسنها وحب رسـول الله ﷺ لها -يقـصد عائشة-.

ثم قال عـمر: ثم خـرجت حتى دخلت على أم سلـمة لقرابتى مـنها، فكلمتها فقالت له أم سلمة:

- عجـبًا لك يا ابن الخطاب، قـد دخلت فى كل شىء حتـى تبغى أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟

قال عـمر: فأخذتنى، والله أخـذًا كسرتنى به عن بعض مـا كنت أجد فخرجت من عندها.

وكانت ﵂ ذات مكانه عند رسول الله ﷺ، ويلحظ ذلك حين دخلت عليه ابنته فاطمة الزهراء ﵂ ولديها الحسن والحسين عليهما السلام فضمهما إليه وتلا قوله: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ فبكت أم سلمة، فنظر إليها وسألها فى حنو:

- ما يبكيك؟

قالت: يا رسول، خصصتهم وتركتنى وابنتى.

قال لها: «إنك وابنتك من أهل البيت».

وتربى أولاد أم سلمة من زوجها أبى سلمـة فى حجر رسول الله ﷺ، حتى أصبحوا من ربائب النبى ﷺ ومن أهل البيت النبوى.

ومن رجاحة عقلها وحُسن مشورتهـا ما أشارت عليه فى الحديبية، حين ذهب رسول الله ﷺ للعمرة وكانت معـه وصدت قريش المسلمين عن دخول البيت الحرام لأداء العمرة، وانتهى الأمـر بالصلح بينهما وأداء العمر فى العام

التالى، وأمر الرسول ﷺ المسلمين بذبح الهدى وحلق الشعر أو الـتقصير أى التحلل للعودة، فلم يستـجب له أحد منهم، وغضب لذلك رسول الله ﷺ، ودخل على أم سلمة يحكى لها ما حـدث، فأشارت عليه أن يخرج ولا يكلم أحد ثم يذبح شاته ويدعـوا الحلاق فيحلق الشعر، ففـعل.. وفعل المسلمون مثله وانتهت الأزمة على خير بفضل مشورة السيدة أم سلمة ﵂[1].

ولقد شهـد بيتها الوحى والبشارة لبـعض الذين تاب الله عليهم لمواقف ذات معنى منهم أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصارى، ففى غزوة بنى قريظة بعد أن خانـوا عهـد رسول الله ﷺ فى غزوة الأحـزاب وحاصـرهم النبى ﷺ فأرسلوا إليـه أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر لـنستشيره فى أمـرنا وكانوا حلفاء أبى لبابة.

وجاء إليهم أبو لبابة فلما رأوه قـام إليه الرجال وجهش النساء فى البكاء والصبيان أيضًا، فرق لحالهم وقالوا لهم: ما ترى.. أننزل على حكم محمد؟

فقال لهم: نعم انزلوا، وأشار إلى حلقة الذبح.

أى أنه أعلمهم بما يريد رسول الله ﷺ.

وتعاطف معـهم وهم على الباطل والخداع والخيانة، وشـعر أبو لبابة أنه قد خان الله ورسوله فندم، وقال: إنا لله، وإنا إليه راجعون.

ولم يذهب أبو لبابة إلى النبى ﷺ بل ذهب إلى المسجـد النبوى وربط نفسـه فى أحد الأعمـدة المقابلة لبـيت السيدة أم سـلمة وكان الحـر شديدًا لا يطاق. وربط أبو لبـابة نفسـه بسلسلة من حـديد ثقـيلة، وأعلن أنه لن يذوق طعامًا ولا شرابًا حتى يموت أو يتوب الله عليه.

---

(١) أخرجـه الإمام أحمد فى مسنده والبخارى وذكـره ابن كثيـر فى البداية والنهاية والسـيرة النبوية وما ذكرها إشارة إليه.

وظل أبو لبابة هكذا تأتى إليه امرأته تفكه ليصلى ثم يعود إلى مكانه مربوطًا بالسلسلة فى عمود المسجد وظل هكذا بضع ليالٍ حتى نزل قول الله -تعالى- لرسوله ﷺ فى حجرة أم سلمة ﵂:

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(1).

وضحك رسول الله ﷺ.

فقالت له أم سلمة: مم تضحك يا رسول الله، أضحك الله سنك.

قال: «تيب على أبى لبابة».

قالت: أفلا أبشره يا رسول الله؟

قال: «إن شئت».

وخرجت إلى أبى لبابة -قبل نزول آية الحجاب- فقالت:

- أيا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك.

فثار الناس وأسرعوا ليطلقوه، ولكن أبا لبابة أبى وقال: لا والله، حتى يكون رسول الله ﷺ الذى يطلقنى بيده الشريف.

وعلم بذلك النبى ﷺ فلما مرَّ عليه إلى صلاة الصبح أطلقه وارتاح أبو لبابة وغمره السرور لذلك(2).

وهذا الأمر حدث أيضًا فى الثلاثة الذين خلفوا عن حضور غزوة تبوك دون عذر وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع. فقد نزلت الآيات تعلن قبول التوبة منهم فى حجرة أم سلمة ﵂. قال

(1) التوبة: 102.
(2) نقلاً عن الذهبى - تاريخ الإسلام باختصار وتصرف.

-تعالى-: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(1).

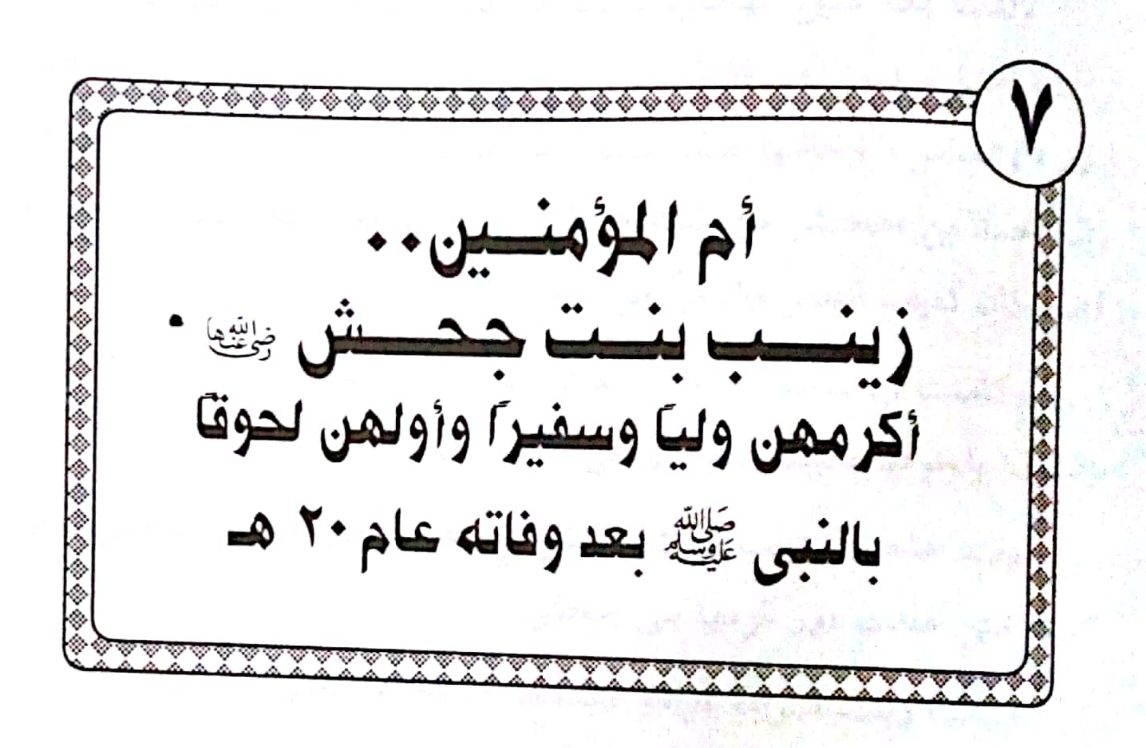
فقالت أم سلمة ﵂ لرسول الله ﷺ:

ألا أرسل إليه فأبشره -تقصد كعب بن مالك- فأذن الرسول ﷺ بإخبارهم بالتوبة بعد صلاة الفجر(2).

وهكذا عاشت أم سلمة فى بيت النبوة تتفاعل مع الأحداث، وتغنم من الخير الوفير وتسعد بصحبة رسول الله ﷺ وتحظى بشرف الانتساب إليه وإلى أهل البيت.

وعاشت بعد وفاة النبى ﷺ حتى جاوزت الثمانين من عمرها وماتت فى عهد يزيد بن معاوية، بعد مقتل الحسين بن على ﵄ شهيد الأمة، وحزنت عليه كثيرًا وذلك عام 61هـ، وصلى عليها أبو هريرة ﵁ ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين بالمدينة المنورة ﵅ أجمعين.

(1) التوبة: 118.
(2) الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن وذكرناه هنا بالإشارة إليه.


٧
أم المؤمنين..
زينب بنت جحش رضي الله عنها
أكرمهن ولياً وسفيراً وأولهن لحوقاً
بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته عام ٢٠ هـ

[٧] زينب بنت جحش رضي الله عنها

إنها سيدة فاضلة من أهل البيت.. ابنة عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم.. إنها زينب بنت جحش بن رباب الأسدية تكنى بأم الحكم(١).

ولدت بمكة قبل الهجرة بأكثر من ثلاثين سنة، ذات شرف وسيادة ونسب أصيل، فهى من فضليات نساء قريش، أخوالها أعمام النبى ﷺ: الحمزة والعباس، وخالتها صفية بنت عبد المطلب، أخواها عبد الله بن جحش وأبو أحمد بن جحش من السابقين إلى الإسلام، فعبد الله شهيد أحد وأبو أحمد كان كفيف البصر وشاعراً من شعراء الإسلام.

وكانت زينب بنت جحش تعتز بنسبها وتفخر به وزادها الاعتزاز والشرف بلحوقها بالبيت المحمدى فى المدينة المنورة.

وقد هاجرت زينب بنت جحش مع أهلها من دار بن جحش، إلى المدينة حتى غلقت دور قومها بنى جحش.

وكانت زينب صوامة قوامة عابدة لله -سبحانه وتعالى-

أسلمت خديمة بمكة وتحملت أذى قريش مع من آمن وأسلم من قومها.

خطبها النبى ﷺ لابنه بالتبنى زيد بن محمد الذى كان يدعي زيد بن حارثة، وقد اعتقه من الرق وخيره أن يبقى معه أو يذهب مع أبيه وعمه اللذين جاءا إلى رسول الله ﷺ قبل بعثته كى يدفعوا فداءه، فاختار زيداً أن

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى، روى البخارى ومسلم من حديث زينب بنت أبى سلمة بنت أم سلمة قالت: «كان اسمى برة فسمانى رسول الله ﷺ زينب، ودخلت عليه بنت جحش واسمها برة فسماها زينب» وكذلك فعل ﷺ مع جويرية رضي الله عنها كما سنعرف كان اسمها برة فسماها جويرية.

يبقى مع رسول الله ﷺ، فأعلن رسوله ﷺ أنه ابنه يرثه وله كافة حقوق الابن.. كما كان العهد بذلك قبل الإسلام وفى صدر الإسلام حتى أبطل الله عادة التبنى كما سنعرف.

حين خطبها الرسول ﷺ لزيد قالت:

– أتزوج عبدًا وأنا سيدة عبد شمس. ولا أرضاه لنفسى وأنا أيم قريش.

وشاركها فى الرأى أخوها عبد الله بن جحش ورفض أن تكون أخته وهى قرشية حسيبة أصيلة وابنة عمة النبى ﷺ أن تكون زوجة رجل كان من الموالى وعبدًا رقيقًا.

لكن الإسلام أراد أن تزول كل هذه الاعتبارات القائمة على العصبية الجاهلية، ويعلن للناس أن أكرمكم عند الله أتقاكم.

وأحب رسول الله ﷺ أن تتزوج زينب بنت عمته من مولاه وابنه بالتبنى وحبه فقال لها:

– «**بل فانكحيه فإنى قد رضيته لك**».

وقبل أن تتردد زينب فى الرد على رسول الله ﷺ نزل قوله تعالى:

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللهُ ورسولُه أمرًا أن يكونَ لهُمُ الخيرةُ من أمرِهم ومن يعصِ اللهَ ورسولَه فقد ضلَّ ضلالاً مبينًا﴾[1].

ولم يبق أمامها إلا الامتثال لأمر الله ورسوله.

فقالت: رضيته يا رسول الله منكحًا.

فأجاب ﷺ: **قد رضيته لك**[2].

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير سورة الأحزاب بتصرف واختصار.

وتم زواجها بزيد بن حارثة، فكانت طاعته لله ورسوله بركة عليها، وأي فى الإسلام حيث حققت بتلك الزيجة أولا المساواة فى الإسلام ثم ثانيًا كما سنعرف إبطال عادة التبنى.

ولكن تلك الزيجة لم يكتب لها الوفاق، ولم ينشرح قلب زينب لزيد ابن حارثة، وتصاعدت المشاكل الزوجية بينهما، ويشتكى زيدًا لرسول الله ﷺ من تعاظم زينب عليه لشرفها ونسبها، فيرد عليه النبى ﷺ – «**أمسك عليك زوجك واتق الله**».

ويجدد زيدًا شكواه، والرسول يجيبه نفس الإجابة: «**امسك عليك زوجك واتق الله**».

ولم يستمر الزواج إلا عامًا أو يزيد قليلاً.. وجاء الأمر الإلهى بتطليق زيد بن حارثة من زينب بنت جحش ثم زواجها من النبى ﷺ بعد قضاء العدة، وذلك لإبطال عادة التبنى التى كانت سائدة فى الجاهلية فأصبح زيد يدعى إلى أبيه حارثة، وحتى ينتهى الأمر تمامًا يتزوج النبى ﷺ الذى كان أبوه بالتبنى من زوجته التى كانت زوجة ابنه بالتبنى وينزل فى ذلك آيات تتلى إلى يوم القيامة، ويشرف زيد بأنه الصحابى الوحيد الذى ذُكِر اسمه صراحة فى القرآن.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٧.

وتفخر السيدة زينب بنت جحش على أمهات المؤمنين أن الذى زوجها لرسول الله ﷺ هو الله من فوق سبع سموات(1).

وكانت تقول لرسول الله ﷺ: أنى لأولى عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدلى بهن: إن جدى وجدك واحد، وإنى أنكحنيك الله -عز وجل- من السماء، وأن السفير جبريل عليه الصلاة والسلام(2).

هكذا كان زواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش لحكمة وكذلك زواجها من النبى ﷺ أيضًا لحكمة أخرى غيرت معتقدات الجاهلية فى التبنى.

زينب بنت جحش فى بيت النبوة

وهكذا دخلت زينب بنت جحش البيت النبوى، وكانت البركة الثالثة لها أن نزلت آية الحجاب على النبى ﷺ صبيحة زواجه بها. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بُنى على النبى ﷺ بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعيًا، فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحدًا. أدعوا، فقلت: يا نبى الله، ما أجد أحدًا أدعوا، فقال: فارفعوا طعامكم، وبقى ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت، فخرج النبى ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله.

فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك بارك الله لك؟

فتقرىْ حُجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة.

(1) روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك قال: أن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبى ﷺ فتقول: زوجكنى أهاليكن، وزوجنى الله -تعالى- من فوق سبع سموات.

(2) ذكره ابن كثير فى تفسير سورة الأحزاب آية ٣٧ عن ابن جرير عن ابن حميد عن المغيرة عن الشعبى

ثم رجع النبى ﷺ فإذا رهط فى البيت يتحدثون. وكان النبى ﷺ شديد الحياء. فخرج منطلقًا إلى حجرة عائشة. فما أدرى أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله فى أسكفه -عتبة الباب- داخله وأخرى خارجه، أرخى الستر بينى وبينه وأنزلت آية الحجاب(1).

وآية الحجاب التى نزلت هى قوله -تعالى-:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾(2).

وعاشت زينب بنت جحش فى بيت النبوة مع زوجاته الأخريات فى سعادة بالغة، رغم ما قد يحدث من أمور عادية فى الغيرة بين النساء، فقد كان النبى ﷺ يجلس عندها كثيرًا، وتسقيه العسل الذى يحبه ﷺ، وتسللت الغيرة إلى عائشة وحفصة فاتفقتا على أن تقول كل واحدة منهن للنبى ﷺ حين يدخل عليهن أكلت مغافير -صمغ- إنى أجد منك ريح مغافير..

يروى البخارى ذلك فى صحيحه بسنده عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له:

- أكلت مغافيرًا إنى أجد ريح مغافير.

(1) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى.

(2) سورة الأحزاب: ٥٣ .

قال: لا . . ولكننى كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدًا.

ونزل الوحى كى ينصف زينب ﵂، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾(١).

وكان هذا درسًا ربانيًا لعائشة وحفصة حثهما على التوبة مما فعلا وعرفتا مكانة زينب بنت جحش ﵂ وعنهن أجمعين.

وكانت السيدة زينب بنت جحش كثيرة الصدقات فى سبيل الله. فقد قال رسول الله ﷺ لزوجاته: **«اسرعكن لحاقًا بى أطولكن يدًا»**(٢).

فكانت أطولهن يدًا زينب بنت جحش فكانت تعمل بيدها لتتصدق.

وكانت كثيرة الصلاة والخشوع فيها فقال عنها رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: **«إن زينب بنت جحش أواهة»**. قيل: يا رسول الله ما الأواهة؟ قال ﷺ: **«الخاشعة المتضرعة»**(٣). و﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ** ﴾(٤).

ورافقت زينب بنت جحش رسول الله ﷺ فى غزواته وفى حجة الوداع، ولم تحج ولم تعتمر بعد وفاة النبى ﷺ هى وسودة بنت زمعة وكانت

---

(١) سورة التحريم: ١-٣.
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه بسنده عن عائشة بنت طلحة عن عائشة ﵂.
(٣) سير أعلام النبلاء وحلية الأولياء وروى الطبرانى بسنده عن راشد بن سعد الجرانى قال: دخل رسول الله ﷺ منزله ومعه عمر بن الخطاب فإذا هو بزينب بنت جحش تصلى، وهى تدعو فى صلاتها فقال النبى ﷺ: **«إنها لأواهة»**.
(٤) سورة هود: ٧٥.

تقولا: والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ. فقد قال النبى ﷺ لنسائه فى حجة الوداع: **«هذه ثم ظهور الحصر»**. وظهور الحصر يريد أن يلزم نساءه بيوتهن. والحصير هو ما يفرش به أرضية البيت وهو معروف عند العامة مثل السجاد(١).

وشهدت زينب بنت جحش لعائشة شهادة حق فى حادثة الإفك وقالت لرسول الله ﷺ حين سألها عن عائشة ﵂:

- يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى، ما علمت إلا خيرًا(٢).

فحفظت لها عائشة شهادتها تلك فقد عصمها الله بالورع.

قالت عائشة ﵂: ولم أر امرأة خيرًا منها -أى زينب بنت جحش- وأكثر صدقة وأوصل للرحمن وأبذل لنفسها فى كل شىء يتقرب به إلى الله -عز وجل- من زينب(٣).

وعاشت بعد وفاة النبى ﷺ.. عابدة لله.. تكثر من الصدقات وكانت تعمل بيدها وتتصدق، وكان عمر بن الخطاب ﵁ يعرف مقدارها ويعطيها حقها فى بيت المال اثنى عشر ألفًا مثل أمهات المؤمنين، فكانت تنفق كل ما يصلها على أقاربها وذوى الأرحام والفقراء ولا تستبقى فى يدها شىء من المال.

وفى السنة التى توفيت فيها أرسل عطاء بيت المال اثنا عشر ألف درهم فجعلت تقول: اللهم لا يدركنى قابل هذا المال فإنه فتنة ثم قسمته فى أهل رحمها وفى أهل الحاجة حتى أتت عليه فبلغ عمر فقال: هذه امرأة يراد بها

---

(١) طبقات ابن سعد ورواية لأحمد بن حنبل فى مسنده.
(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى فى صحيحه.
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده فى مسنده.

خيـر، فوقف على بابها وأرسل بالسـلام، وقال: قد بلغنى ما فـرقت فأرسل إليهـا بألف درهم يستنفقـها، فسلكت بها طريق ذلك المال[1].. وفرقـتـها أيضًا.

وماتت فى عام ٢٠هـ فـى عهد عمر بن الخطاب وصلى عـليها ودفنت بالبقيع.. وكانت أولى نساء النبى ﷺ لحوقًا به.

رضي الله عنها وأرضاها.

(١) طبقات ابن سعد.

٨

أم المؤمنـين..
جويـرية بنت الحـارث رضي الله عنها
أعظم امـرأة بركـة عـلى قومها بنى المصطلـق

[٨] جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

نشأت السيدة جويرية فى قومها بنى المصطلق بنت سيد القوم الحارث بن أبى ضرار المصطلقية . . كان أبوها سيد قومه مطاعًا فيهم له السيادة، ولكنهم كانوا رغم إشعاع نور الهدى على الجزيرة العربية إلا أنهم فى جاهليتهم يغطون فى سبات عميق.

وتزوجت جويرية بنت سيد قومه وهى صغيرة السن بمسافع بن صفوان أحد فتيان خزاعة الذين هم أصل بنى المصطلق.

وعلم بنو المصطلق ما وصل إليه حال الإسلام والمسلمون من انتصارات، وخشى بنو المصطلق وهم على الشرك وعبادة الأوثان أن يصل إليهم المد الإسلامى فقام سيدهم الحارث بن أبى ضرار بتجهيز العدة، وتجميع القبائل من حوله لغزو المدينة والقضاء على الإسلام والمسلمين بها، وعلم رسول الله ﷺ بما يفعله الحارث بن أبى ضرار وبنو المصطلق، فأرسل إليهم بريدة بن الحُصَيب بن عبد الله السلمى ليأتيه بخير القوم، وذهب إليهم بريدة وتحدث إلى الحارث زعيمهم، فوجد إصرارهم على مهاجمة رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وعاد بريدة إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما رآه وسمع من نية القوم على الغدر والقتال، فجهز رسول الله ﷺ جيش لغزو بنى المصطلق فى نحو سبعمائة مسلم وخرج إليهم مسرعًا.

ووصل الجيش المسلم إلى القرب من بنى المصطلق فى منطقة تسمى المريسيع وهى عين ماء لهم فى الطريق من المدينة إلى مكة وكان عام ٥هـ وأقام الجيش هناك، وتهيأ للقتال، وبلغ الحارث أمر الجيش، فتملكه الخوف

والهلع وتفرق عنه من جمعهم للقتال وأصبح مع قومه فى جمع يزيد عن السبعمائة مقاتل.

وأمر الرسول ﷺ عمر بن الخطاب أن ينادى عليهم أن يقولوا: «لا إله إلا الله كى يمنعوا بها أنفسهم وأموالهم».

ونادى عليهم عمر بن الخطاب بما أمره رسول الله ﷺ، إلا أنهم رفضوا وأخذتهم العزة بالإثم وبدءوا الحرب ورمى رجل منهم المسلمين بنبله وسهمه، وأمر النبى ﷺ أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد، ففعلوا، وأخذوا على عددهم فقتلوا منهم عشرة وأسروا الباقين نحو سبعمائة رجل وغنموا الأموال والنساء سبايا وكان نصراً مؤزراً.

وبعد هذا النصر السريع للمسلمين على بنى المصطلق عاد الجيش المنتصر إلى المدينة المنورة، بالغنائم وكان من بين السبايا جويرية بنت سيد قومها الحارث الذى فر من القتال، وقتل زوجها مسافع بن صفوان.. وكانت جويرية من نصيب الصحابى ثابت بن قيس الذى كاتبها على مبلغ من المال لفداء نفسها.

وكانت السيدة جويرية ذات عقل راشد راجح وجمال آخذ، وتفكير حصيف وفصاحة فى الحديث، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تقف على بابه تريد أن تتحدث إليه، وقد عانت من ذل الرق والعبودية، ورأتها عائشة رضي الله عنها فقالت:

- فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب الحجرة فكرهتها وقلت: سيرى منها مثل ما رأيت.

فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت:

- يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه، وقد

أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت فى سهم ثابت بن قيس، وقد كاتبت على نفسى، فأعنى على كتابتى.

فقال رسول الله ﷺ:

- «وهل لك فى خير من ذلك؟».

قالت: وما هو؟

قال: «أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك».

قالت: نعم يا رسول الله.

ففعل رسول الله ﷺ، فخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ. فأرسلوا ما فى أيديهم من بنى المصطلق، فلقد أعتق بتزويجه ﷺ إياها مائة من أهل بيت بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[١].

وكان اسمها برة سماها النبى ﷺ جويرية[٢] وكان عمرها عشرون عامًا.

وقدم أبوها إلى المدينة المنورة يعلن إسلامه بين يدى رسول الله ﷺ، وأراد فداء ابنته وقال له:

- إن ابنتى لا يسبى مثلها، فأنا أكرم من ذلك. فقال له النبى ﷺ:

- «أرأيت إن خيرناها أليس قد أحسنت».

قال: بلى.

فأتاها أبوها فذكر لها ذلك فقالت:

---

(١) حديث أخرجه أحمد وابن سعد فى الطبقات وأبو داود والحاكم والطبرى من تاريخه والطبرانى فى الكبير.

(٢) أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما.

- اخترت الله ورسوله[١].

وأسلم أبوها مع ابنين له وناس من قومه كما ذكر ذلك ابن هشام فى السيرة.

فى بيت النبوة

دخلت جويرية رضي الله عنها بيت النبوة وكانت من قبل قد رأت رؤيا قبل قدوم النبى ﷺ بثلاث ليالٍ كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرها، فلما وقعت فى الأسر، تمنت أن تحقق رؤياها وقد حدث[٢].

منذ دخلت البيت النبوى وهى تحذو حذو أمهات المؤمنين فى الصلاح والعبادة والاقتباس من نور النبوة وكانت كثيرة التسبيح والذكر لله، فقد مر النبى ﷺ عليها وهى جالسها فى مصلاها أول النهار، ثم مر عليها وقريبًا من نصف النهار فقال لها: ما زلت على حالك؟ قالت: نعم، قال: ألا أعلمك كلمات تقوليهن: سبحان الله عدد خلقه ثلاثًا سبحان الله رضا نفسه ثلاثًا، سبحانه زنة عرشه ثلاثًا سبحان الله مداد كلماته ثلاثًا[٣].

وروى مسلم فى صحيحه وأبو داود فى سننه عن جويريه رضي الله عنها قالت: أتى علىَّ رسول الله فقال: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

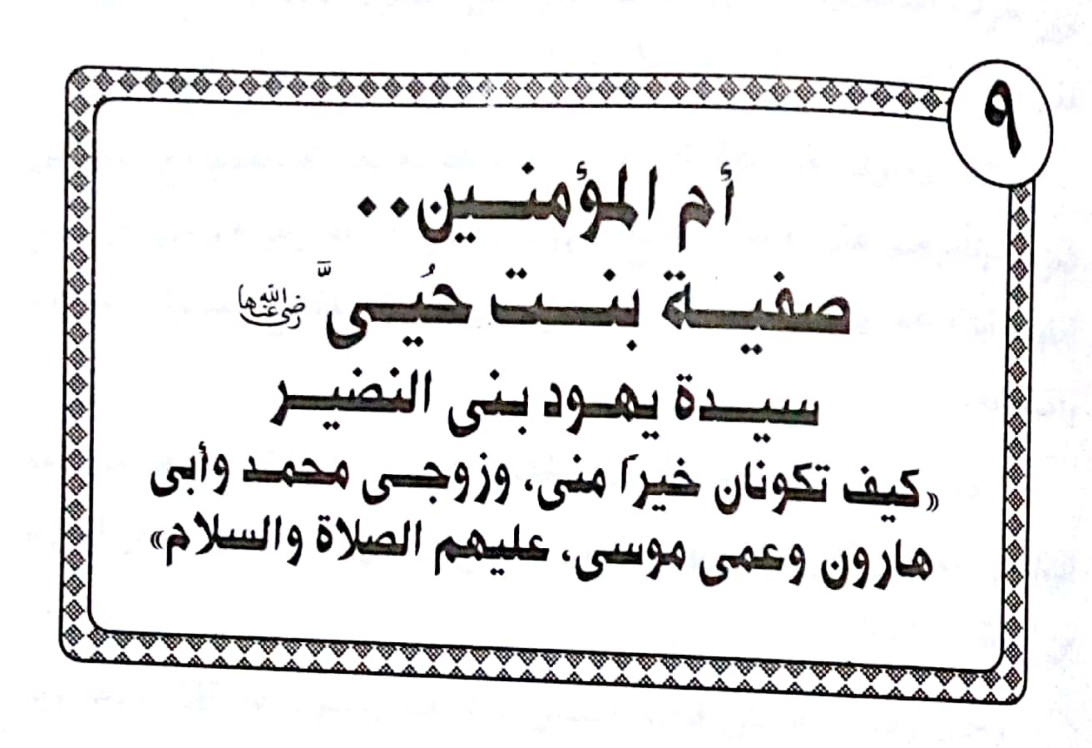
وكانت رضي الله عنها عالمة واعية تقية عابدة لله، تحب الخير للناس. وقد روت الكثير عن رسول الله ﷺ وروى عنها صحابة رسول الله ﷺ وخرجت مع

(١) ابن حجر فى الإصابة.
(٢) رواه البيهقى عن جويرية رضي الله عنها.
(٣) أخرجه الترمذى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية رضي الله عنها.

رسول الله ﷺ فى جهاده وغزواته، وبعد وفاته ﷺ ظلت على عهدها من العبادة والعلم والتسابيح والذكر لله، ونشر أحاديث رسول الله ﷺ التى سمعتها منه وحفظتها عنه.

وعاشت حتى بلغت السبعين عامًا وتوفيت فى خلافة معاوية بن أبى سفيان عام ٥٠هـ ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة وقتها.

رضي الله عنها وأرضاها.


٩
أم المؤمنين..
صفية بنت حُيى رضي الله عنها
سيدة يهود بنى النضير
«كيف تكونان خيراً منى، وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى، عليهم الصلاة والسلام»

[٩] صفية بنت حيى رضي الله عنها

بعد صلح الحديبية فى العام السابع الهجرى أظهر اليهود فى خيبر العداوة للرسول ﷺ، وبعثوا إلى غطفان وأعراب البادية حولهم كى يؤلبوهم على حرب المسلمين؟ وتجمعت الأخبار لدى النبى ﷺ بأنباء استعداد يهود خيبر لحرب المسلمين، وخيبر كانت عبارة عن حصون منيعة ومزارع ذات خير على بعد ما يقرب من ثمانية ميلاً من المدينة المنورة من الناحية الشمالية.

وكان رسول الله ﷺ قد أجلى يهود المدينة بعد تحالفهم مع مشركى العرب وتآمرهم على قتله، وتجمع اليهود من بنى قريظة وغيرهم فى خيبر مع أهلها أبناء عمهم من اليهود لخوض معركة فاصلة مع رسول الله ﷺ وأصحابه.

وحين عاد رسول الله ﷺ من الحديبية فى ذى الحجة، استنفر من معه المسلمين للخروج إلى قتال يهود خيبر، فخرج الجيش المسلم فى أواخر المحرم من السنة السابعة(١).

وحين وصل الجيش قرب خيبر.. توقف رسول الله ﷺ ودعا ربه قائلاً:

«اللهم رب السموات وما أظللت، ورب الأرضين وما أقلت، رب الشياطين وما أضللت، ورب الرياح وما أذريت، نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا باسم الله»(٢).

وعسكر الجيش المسلم هناك دون أن يشعر بهم اليهود. فى الفجر صلى

---

(١) السيرة النبوية.

(٢) هذا دعاء دخول القرية أو أى بلدة يدخلها المسلم، وكان ذلك فعل رسول الله ﷺ وما ذكرته كتب الحديث والأذكار النبوية.

المسلمون صلاة الفجر، وانطلقوا حيث حصون خيبر، فرآهم اليهود الذين خرجوا فى الصباح لأعمالهم، ففروا إلى حصونهم، فقال النبى ﷺ : **«الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذ نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»**(١).

وحصار رسول الله ﷺ أهل خيبر، وحاربهم حتى تم له النصر عليهم، وفتح حصون خيبر كلها، وقتل زعيمهم حيىّ بن أخطب ومن معه، وسبيت نساءهم ومنهن السيدة صفية بنت سيد القوم القتيل حيىّ بن أخطب وابن عمها.

وكانت صفية بنت حيىّ قبل إسلامها زوجة لسلامة بن أبى الحقيق ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق، وكانا من شعراء اليهود، وقتل زوجها كنانة ابن أبى الحقيق يوم خيبر.

وحين جمع السبى من نساء خيبر جاء إلى النبى ﷺ الصحابى دحية بن خليفة الكلبى وسأله أن يعطيه جارية من السبى فقال له ﷺ : **«اذهب فخذ جارية»**. فاختار دحية صفية بنت حيىّ وأخذها، فجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا نبى الله، أعطيت دحية صفية بنت حيىّ سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك.

فقال: ادعوه بها.

فلما جاء بها، ونظر إليها النبى ﷺ قال: **«خذ جارية من السبى غيرها»**(٢).

وكان لرسول الله ﷺ من الغنيمة يدعى الصفىّ، إن شاء عبدًا أو أمة أو فرسًا يختاره قبل الخمس.

(١) رواه البخارى.

(٢) أخرجه البخارى عن أنس بن مالك ﷺ ومسلم وأبو داود وأحمد فى المسند.

وذكر صاحب السيرة النبوية ابن هشام(١) أن بلال مؤذن النبى ﷺ قاد صفية وابنة عمها ومرّ بهما على ساحة القتال وقد امتلئت بالقتلى من يهود، وتماسكت صفية بترفع ولم تجزع ولم تصرخ، كما فعلت ابنة عمها التى صكت وجهها صارخة وحثت التراب على رأسها ثم جىء بهما إلى رسول الله ﷺ وصفية فى حزنها الصامت، والأخرى معفرة بالتراب ممزقة الثياب لا تكف عن النواح، فقال ﷺ وهو يشيح بوجهه عنها: **«اغربوا عنى هذه الشيطانة»**.

ثم دنا ﷺ من صفية فألقى عليها نظرة رحمة وعطف وهو يقول لبلال: **«أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما»**(٢).

ثم أمر بصفية فخيرت خلفه وألقى عليها رداءه، فكان ذلك إعلامًا بأنه قد اصطفاها لنفسه، ولم يعرف المسلمون أتزوجها أم اتخذها أم ولد، فلما حجبها عرفوا أنه تزوجها.

وخيَّر رسول الله ﷺ صفية بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من أهلها أو أن تشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ويتزوجها فاختارت الله ورسوله. فأعتقها وجعل عتقها صداقها(٣).

وتروى السيدة صفية أنها حين التقت برسول الله ﷺ ما من أحد أكره إلىّ منه فقال: إن قومك صنعوا كذا وكذا، فما قامت من مقرها حتى صار أحب الناس إليها.

ثم إن النبى ﷺ لما طهرت تزوجها وانتظر بخيبر حتى ذهب الروع منها

(١)، (٢) الإصابة وتاريخ الطبرى والطبقات لابن سعد.

(٣) قال ابن القيم الجوزية من خصائص صفية أن رسول الله ﷺ أعتقها وجعل عتقها صداقها، زاد المعاد، ذكره البخارى ومسلم.

وحملها وانطلق عائدًا إلى المدينة، وعلى بعد ستة أميال من خيبر أراد أن يواسيها ولكنها تمنعت عليه، فوجد فى نفسه وشق عليه تمنعها ذلك.

وواصل النبى ﷺ بالجيش المسير حتى وصل إلى المدينة. وعسكر بالصهباء ونزل للراحة فبدا له أن صفية متهيئة للعرس، وجاءتها أم أنس بن مالك. فمشطتها وجملتها وعطرتها، وأقيمت وليمة العرس وأكل الناس، ودخل ﷺ على صفية فأقبلت إليه متلهفة فسألها عن امتناعها أول مرة فأجابت خشية عليك من اليهود.

أى أنها انتظرت حتى فارق الأراضى التى بها اليهود من أراض خيبر حتى وصل المدينة.

وروت له رؤيا رأتها فى ليلة عرسها بكنانة بن أبى الحقيق زوجها السابق.. حيث رأت فى المنام أن قمرًا وقع فى حجرها، فلما صحت من نومها عرضت رؤياها على زوجها فقال غاضبًا: ما هذا إلا أنك تمنيتى ملك الحجاز محمدًا»[1].

وكانت وقت أن تزوجها النبى ﷺ فى السابع عشر من عمرها، ذات جمال وضاء قالت عنها أم سنان الأسلمية حين رأتها: أنها لم تر بين النساء أضوء منها[2].

وحين قدمت إلى المدينة المنورة غارت السيدة عائشة رضي الله عنها منها فسألها النبى ﷺ ضاحكًا:

- كيف رأيت يا شقيراء؟

فأجابت والغيرة تملؤها: رأيت يهودية.

(١) السيرة النبوية لابن هشام وتاريخ الطبرى وفى الإصابة لابن حجر أنها قصت رؤياها على أمها.

(٢) الإصابة لابن حجر.

فرد عليها ﷺ: لا تقولى ذلك، فإنها أسلمت وحسن إسلامها[1].

ودخلت صفية بيت النبوة وازدادت شرفًا، وعظمت مكانة، وبلغها مرة أن حفصة قالت لها: بنت يهودى، فبكت ودخل عليها النبى ﷺ وهى تبكى فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لى حفصة: إنى بنت يهودى. فقال لها ﷺ: إنك لابنة نبى وإن عمك نبى، وإنك لتحت نبى، ففيم تفخر عليك؟ فقال لحفصة: اتق الله يا حفصة[2].

فكانت كلماته لها بردًا وسلامًا وشرفًا.

وأصبحت تفاخر إذا سمعت شيئًا من المفاخرة عليها تقول: كيف تكونان خيرًا منى، وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى[3].

وعاشت صفية فى بيت النبوة يحيطها رسول الله ﷺ بالحب والرعاية، حتى أنه ليخرج لها من المعتكف حين جاءته بليل تزوره، وتحدثه، ولما خرج إليها مر رجلان من الأنصار منها رأيا رسول الله ﷺ ومعه امرأة فى الظلام أسرعا، فقال لهما:

- على رسلكما، إنها صفية بنت حيىّ.

فقالا: سبحان الله يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: **«إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرًا»**[4].

وكان ذلك فى الأيام الأواخر من شهر رمضان.

(١) الطبقات لابن سعد.

(٢) أخرجه الترمذى. وكانت صفية بنت حيىّ بن أخطب ينتهى نسبها إلى نبى الله هارون عليه السلام.

(٣) الإصابة لابن حجر.

(٤) أخرجه البخارى ومسلم وابن ماجة وأحمد.

وبعد وفاة النبى ﷺ، وفى عهد عمر بن الخطاب يذكر أصحاب السير أن جارية لصفية زعمت عند عمر أن صفية تحبُ السبت، وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها فقالت:

- أما السبت فلم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لى فيهم رحمًا فأنا أصلها.

ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟

قالت الجارية: الشيطان.

فقالت صفية رضي الله عنها فى عقل وحلم: فاذهبى فأنت حرة[1].

فكان هذا الموقف من الجارية دليل عقلها وحلمها وإيمانها الشديد بالله رضي الله عنها، وكانت تكثر من إخراج الصدقات وكانت تصل أرحامها من اليهود حتى أنها أوصت بثلث تركتها وكانت قد ورثت منه ألف درهم لابن أختها وكان يهوديًا وأنفذت وصيتها بعد موتها كما ذكر ذلك ابن سعد فى الطبقات.

وقد عاشت صفية بعد رسول الله ﷺ، وروت عنه ما يقرب من عشرة أحاديث وظلت على حُسن إسلامها عابدة لله، وتوفيت عام ٥٠هـ فى عهد معاوية بن أبى سفيان ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة. رضي الله عنها وأرضاها.

(١) ذكره صاحب سير أعلام النبلاء وابن حجر فى الإصابة وغيرهما.

١٠

أم المؤمنين..
أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضي الله عنها
المهاجرة الصابرة..

[١٠] أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضي الله عنها

حين جاء الأمر الإلهى لرسول الله ﷺ.. ﴿قم فأنذر﴾ ونادى على قومه من قريش.. إنى لكم نذير مبين.. لم يصدقه إلا القليل على خوفٍ من قومهم، ومن هؤلاء النفر القليل كان عبيد الله بن جحش الذى كان أحد أربعة لم يعبدوا الأصنام فى قومهم[1]، ولكنه لم يتبع ديانة أو عقيدة حتى جاء الإسلام فأسلم.

وكان عبيد الله قد تزوج من أحد شريفات قريش حسبًا ونسبًا ألا وهى رملة بنت أبى سفيان بن حرب زعيم مكة وسيد بنى أمية.

وأسلمت رملة بنت أبى سفيان مع زوجها وأسلم كذلك أخو عبيد الله عبد الله بن جحش وأخته حمنة بنت جحش وزينب بنت جحش فكانوا من السابقين للإسلام.

وحاول زعيم قريش الذى وقف بجانب أعداء الإسلام، أن يثنى ابنته وزوجها عن إسلامهما فلم يستطع فابنته على جانب كبير من العقل وقوة الإرادة والرأى، وحارب أبو سفيان المسلمين الأوائل بمكة وكذلك كبراء قومه كأبى جهل وأبى لهب واشتدت وطأتهم على الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ، وأذن الرسول ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة فهاجر من هاجر إليها من المسلمين، وهاجرت رملة بنت أبى سفيان مع زوجها عبيد الله بن جحش فى

---

(١) تروى كتب السيرة أن هؤلاء النفر الأربعة الذى لم يعبدوا الأصنام فى الجاهلية ورقة بن نوفل الذى تنصر ومات فى بداية نزول الوحى على رسول الله ﷺ، وعثمان بن الحويرث ابن أسد فقد قدم مع قيصر ملك الروم وتنصر وحسنت منزلته عنده، وزيد بن عمرو بن نفيل فلم يتبع النصرانية أو اليهودية ولكن عبد الله على ملة إبراهيم عليه السلام فكان يخرج الميتة وما يفعله المشركون ومات قبل البعثة. وكذلك عبيد الله بن جحش.

الهجرة الثانية للحبشة وكانت حاملاً، فما أن وصلت إلى أرض الحبشة حتى وضعت ابنتها حبيبة وبها تكنى.

وظلت أم حبيبة فى الحبشة تحافظ على دينها ملازمة الصلاة والعبادة، بينما انخرط زوجها عبيد الله فى ملازمة الرهبان والقساوسة فى الأديرة والكنائس.

وذات ليلة نامت أم حبيبة فإذا هى ترى فى منامها كأن عبيد الله بن جحش بأسوء صورة وخلقه، ففزعت لما رأت.

ولم يمض سوى ساعات الصبح حتى أعلن زوجها عبيد الله بن جحش عليها أنه عاد إلى دين النصرانية التى تركها قبل ذلك وترك ملة الإسلام ودعوة محمد ﷺ. فقالت له: والله ما خير لك! وأخبرته بما رأت من رؤيا موحشة مفزعة له فلم يأب لذلك.

وارتد عبد الله زوجها عن الإسلام وحاول أن يرد زوجته أم حبيبة عن الإسلام، ولكنها صمدت أم تلك الردة التى أصابت زوجها، وحاولت أن ترجعه إلى الإسلام مرة أخرى دون جدوى. وانفصلت أم حبيبة عن زوجها وتركها وحيدة تعانى آلام الغربة وما حدث لزوجها من كفر بعد إيمان، ولن تستطيع العودة إلى مكة مرة أخرى فيتمكن منها أبوها فيفتنها عن دينها، فقررت الاعتكاف فى منزلها صابرة محتسبة حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً.

ولم يلبث زوجها طويلاً حتى مات على الكفر فخسر الدنيا والآخرة فى أرض الحبشة. فمات وهو مكبًا على شرب الخمر.

أم حبيبة ورسول الله ﷺ

وتصل أخبار أم حبيبة بنت أبى سفيان إلى رسول الله وهو بالمدينة المنورة

قد هاجر إليها، فرأى أن يكرمها وأن يقف بجانبها مؤيدًا لها، فعزم على أن يتزوجها وهى فى بلاد الغربة، وكانت أم حبيبة قد قاربت من الأربعين من عمرها.

وأرسل النبى ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة كى يزوجه من أم حبيبة بنت أبى سفيان، وأن يكون النجاشى وكيله فى عقد الزواج.

وأرسل النجاشى جاريته إلى أم حبيبة كى تزف إليها البشرى، فدخلت عليها قائلة: إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلىَّ أن أزوجكه. وفرحت أم حبيبة فرحًا شديدًا، لقد آن لها أن تفرح وتخرج من أحزانها.

ووكلت أم حبيبة أحد أقاربها فى تزويجها وهو خالد بن سعيد بن العاص من المهاجرين للحبشة ﷺ وأهدت أم حبيبة الجارية التى بشرتها سوارين من فضة وحلتها بهما وخلخالين وخواتيم من فضة، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة دينار فكانت أكثر زوجاته صداقًا[1].

وجاء فى حفل الزواج أن النجاشى أمر جعفر بن أبى طالب ومن معه من المسلمين أن يحضروا، فحضروا وقام النجاشى خطيبًا فى ذلك الجمع الذى شهد عقد الزواج من أم حبيبة بنت أبى سفيان على رسول الله ﷺ فقال:

«الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله وأنه الذى بشر به عيسى بن مريم، أما بعد: فإن رسول الله ﷺ كتب إلىَّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربعمائة دينار».

ثم سكب الدنانير بين يدى القوم من المسلمين وجلس مكانه، وقام وكيل العروس خالد بن سعيد بن العاص يخطب فقال:

(١) سير أعلام النبلاء بتصرف.

«الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان. فبارك الله لرسول الله ﷺ».

ودفع النجاشى الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ثم دعى النجاشى المسلمون إلى وليمة العرس فأجابوا.

هكذا جاء أمر هذا الزواج فى كتب السيرة والحديث بطرق مختلفة أوردناها مختصرة(١).

وظلت أم حبيبة بنت أبى سفيان بالحبشة مع من بقى من المسلمين زمنًا طويلاً حتى عادوا جميعًا من دار الهجرة إلى المدينة فى العام السابع عقب فتح خيبر وقد فرح الرسول ﷺ لهم كثيراً.

وظلت أم حبيبة بنت أبى سفيان البيت النبوى بعد السيدة صفية بنت حيى، رغم أنه عقد عليها دون دخول منذ فترة طويلة.

أم حبيبة فى بيت النبوة

عاشت أم حبيبة المهاجرة الصابرة أخيراً فى بيت النبوة، وراحت تنهل من فيض الإيمان وتستمع لآيات الله نُزِّلت على رسول الله ﷺ وتعوض ما فاتها فى هجرتها بالحبشة، فأصبحت إحدى فقيهات نساء المسلمين فى عصرها.

وعاصرت أم حبيبة صلح الحديبية حين أراد الرسول ﷺ أداء العمرة مع أصحابه وصدتهم قريش ومنعتهم من دخول البلد الحرام، وظلوا فى الحديبية حتى تم الصلح بين المسلمين وقريش وعقد الهدنة فيما بينهما على أن يأتى

(١) سير أعلام النبلاء، وطبقات ابن سعد والسيرة النبوية والإصابة وغير ذلك.

المسلمون لأداء العمرة فى العام القادم، ومن شروط المعاهدة حرية الاختيار للقبائل فى الانضمام إلى الفريقين المتصالحين.

وانضم قوم خزاعة إلى جانب الرسول ﷺ وانحاز بنو بكر إلى قريش.

وبعد مرور عام قام المسلمون من أداء العمرة التى سميت بعمرة القضاء. وذلك حسب شروط المعاهدة وظلوا بمكة ثلاثة أيام.

وبعد ذلك لم تلبث المعاهدة طويلاً حيث غدرت قريش بالمسلمين ونقضت إحدى شروط المعاهدة، وساعدت قريش بنى بكر فى العدوان على حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة.

وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين من قومه إلى المدينة المنورة يستنصر رسول الله ﷺ، وأخبره بغدر قريش، فقال له الرسول ﷺ: **«نصرت يا عمرو بن سالم»**.

وعلمت قريش بأمر بنى خزاعة وأنهم وفدوا إلى المدينة يستنصروا رسول الله ﷺ وخافت قريش وندمت على فعلتها مع خزاعة، وأرسلت أبى سفيان إلى المدينة ليؤكد أمر الهدنة والصلح ويستزيد مدتها.

وقدم أبو سفيان إلى المدينة المنورة، وذهب إلى بيت ابنته أم حبيبة زوجةرسول الله ﷺ، وحين أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ابنته أم حبيبة. فقال لها:

- يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى؟

قالت له: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس.

قال: والله لقد أصابك بعدى شر.

قالت: هدانى الله للإسلام، وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك دخول فى الإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولايبصر.

قال: يا عجباه! وهذا منك أيضًا؟ أأترك ما كان يعبد آبائى وأتبع دين محمد(١).

ثم قام من عندها حزينًا لما وجده من صراحة وقوة إيمان عند ابنته.

هكذا كان موقف أم حبيبة ﵂ من أبيها الذى كان على الشرك وقتها، واجهته بحقيقة كفره وشركه بالله، وهو كبير قومه(٢).

وذهب أبو سفيان إلى أبى بكر الصديق ﵁ وكلمه فأبى أبو بكر الصديق أن يتوسط لأبى سفيان عند رسول الله ﷺ، وذهب إلى عمر بن الخطاب ﵁ فلم يجبه إلى طلبه وهكذا فعل عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وسعد بن عبادة، وعاد أبو سفيان إلى قومه خائبًا لم يحقق ما يرجوا قومه من استمرار المعاهدة والصلح بعد الغدر الذى حدث منهم.

وجهز رسول الله ﷺ المسلمين لفتح مكة فى جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، وتم له فتح مكة دون قتال ودخل أهلها فى دين الله أفواجًا وعلى رأسهم زعيمهم أبو سفيان بن حرب أبو أم حبيبة ﵂.

وعاشت أم حبيبة بنت أبى سفيان ﵂ بعد رسول الله ﷺ، عابدة مؤمنة تروى عنه أحاديث كثيرة حوتها كتب الأحاديث، وكانت حياتها مثالاً للزهد والعلم ولم تفارق مصلاها، وعاشت حتى أدركت خلافة معاوية بن أبى سفيان أخيها وحين وافتها المنية دعت السيدة عائشة ﵂ وقالت لها:

- قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك.

فقالت عائشة:

(١) طبقات ابن سعد وسير أعلام النبلاء، والبداية والنهاية لابن كثير.
(٢) ولقد أسلم أبو سفيان يوم فتح مكة وحسن إسلامه وشاهد الغزوات مع رسول الله ﷺ ومن ذلك أيضًا شارك فى حرب اليرموك وأبلى فيها بلاءً حسنًا.

- غفر الله لك ذلك كله وتجاوزه، وحللتك من ذلك كله.

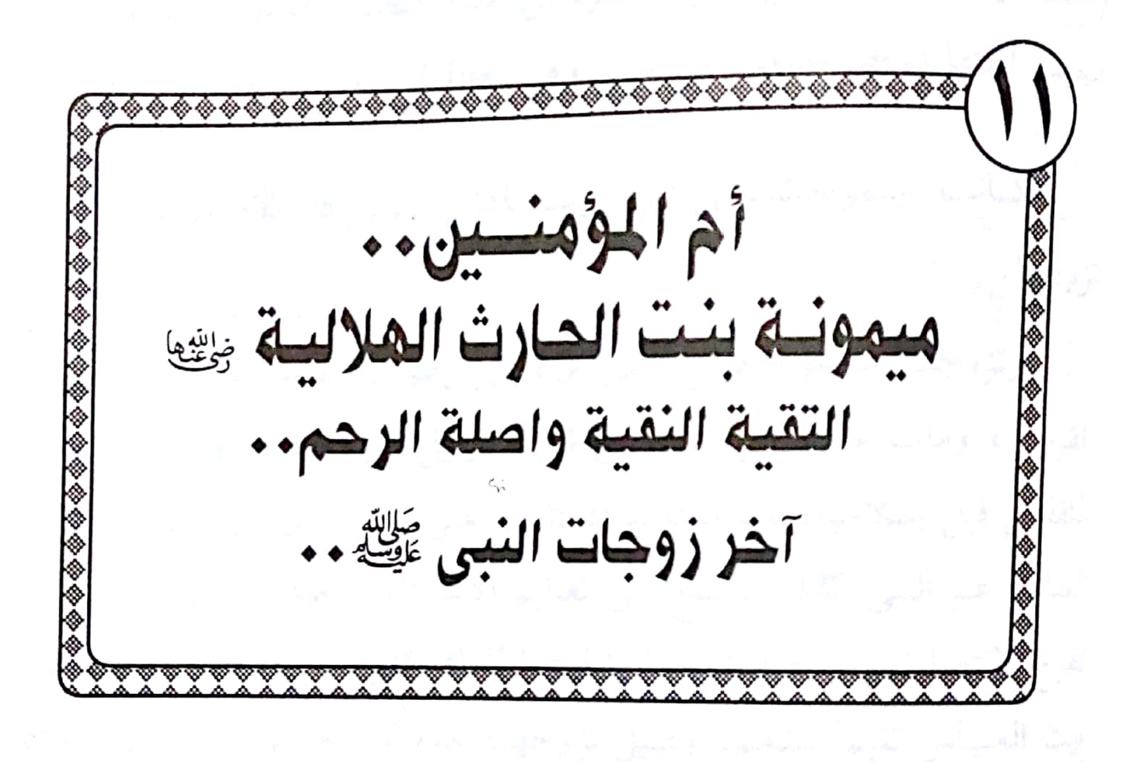
فقالت: سررتنى سرك الله.

وأرسلت إلى أم سلمة وقالت لها مثل ذلك(١).

وتوفيت بالمدينة عام ٤٤هـ(٢).

﵂ وأرضاها.

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير.


١١
أم المؤمنين..
ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها
التقية النقية واصلة الرحم..
آخر زوجات النبى صلى الله عليه وسلم..

[١١] ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

إنها من أسرة عرفت حب الله ورسوله منذ أن دعا رسول الله ﷺ بدعوته، فشهد لها نبى الإسلام ولأخوتها بالإيمان فقال لها وأخوتها: «إن الأخوات لمؤمنات»(١) ويقصد: ميمونة، وأم الفضل زوجة العباس رضي الله عنه، وأخت ميمونة، وسلمى امرأة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وأسماء بنت عميس أختها زوجة مصعب بن عمير وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد.

كانت ميمونة تسمى «برة» وسماها رسول الله ﷺ ميمونة حين تزوجها.

وتزوجت ميمونة قبل النبى ﷺ أبى رهم بن عبد العزى العامرى القرشى، ومات عنها فترملت وهى شابة. وقيل: تزوجها مسعود بن عمرو الثقفى قبل إسلامها، وكانت تتردد كثيراً على بيت أختها أم الفضل زوجة العباس عم النبى ﷺ وتستمع إلى تعاليم الإسلام وأخبار المسلمين، فكانت تفرح لانتصاراتهم ويحزن زوجها وتنازعا لذلك كثيراً حتى طلقها وذهبت إلى بيت العباس تقيم عندهم، وقيل تزوجها بعده أبو رهم ومات عنها. والله أعلم.

زواجها بالنبى ﷺ

فى السنة السابعة من الهجرة.. دخل رسول الله ﷺ ومن معه من

(١) أخرجه النسائى والحاكم وابن سعد فى الطبقات. عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقد قيل: إنها أخت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية وهى أختها لأمها. ذكرت ذلك د. عائشة عبد الرحمن فى تراجم سيدات النبوة وأشارت لمصدرها الطبقات الكبرى ومجمع الزوائد.

المسلمون مكة لأداء عمرة القضاء، حسبما قضت معاهدة صلح الحديبية، وكانت ميمونة بمكة فى بيت زوج أختها العباس عم النبى ﷺ، وكانت تكتم إيمانها وإسلامها، وأفضت ميمونة إلى أختها أم الفضل بنت الحارث بما يجول فى نفسها من رغبتها من الزواج بالنبى ﷺ، كى تنال شرف دخول البيت النبوى وتحظى بلقب أم المؤمنين، ويكون لبنى هلال شرف مصاهرته، كما نال هذا الشرف من قبل: بنو تيم، وبنو عدى، وبنو أمية، وبنو مخزوم، وبنو أسد وبنو المصطلق.

وقامت أم الفضل بدورها بأخبار زوجها العباس بن عبد المطلب، وقام العباس بنقل تلك الرغبة إلى ابن أخيه رسول الله ﷺ، ووافق نبى الإسلام على زواجه من ميمونة وقد جعلت وكيلها وولى أمرها زوج أختها العباس رضي الله عنه، وذهبت ميمونة إلى النبى ﷺ فى قبته بالأبطح فلما رأته أمامها وهى راكبة على البعير: «البعير وما عليه لله ورسوله»(1).

وحين تحدث الناس عما قالت ميمونة وأنها وهبت نفسها للنبى ﷺ نزل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(2).

وأقام الرسول ﷺ ثلاثة أيام بمكة حسبما يقضى صلح الحديبية، فلما

(1) ذكر ذلك القرطبى فى تفسيره سورة الأحزاب آية ٥٠ أن ميمونة هى المرأة التى وهبت نفسها للنبى ﷺ فى الآية، وسير أعلام النبلاء وطبقات ابن سعد والسيرة النبوية.
(2) سورة الأحزاب: ٥٠.

انقضى الأجل قال له المشركون: قد انقضى الأجل فاخرج عنا فقد مضت الثلاث.

فقال لهم ﷺ:

- وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم، فصنعت لكم طعامًا فحضرتموه؟.

قالوا: لا حاجة لنا بطعامك؟ فاخرج عنا.

وخرج رسول الله ﷺ من مكة، وترك خلفه مولاه أبا رافع ليحمل ميمونة إليه حين يمسى، أخرج أحمد بسنده فى مسنده عن أبى رافع رضي الله عنه أنه قال: كنت فى بعث مرة فقال رسول الله ﷺ: «اذهب فأتنى بميمونة» فقلت يا رسول الله إنى فى البعث. فقال رسول الله ﷺ: ألست تحب ما أحب؟».

قال: بلى يا رسول الله.

قال: اذهب فأتنى بميمونة.

فذهبت فجئته بميمونة.

وجاءت ميمونة رضي الله عنها ولحقت برسول الله ﷺ خارج مكة بمنطقة تسمى «السرف»، وضربت لها قبه هناك، دخل بها رسول الله ﷺ وخرج المسلمون بتلك الزيجة المباركة التى جاءت بعد قضاء العمرة وقد دخلوا مكة التى حرموا منها بعد الهجرة إلى المدينة.

ميمونة فى البيت النبوى

دخلت ميمونة رضي الله عنها البيت النبوى وعمرها قد تجاوز السادسة والعشرين، وأحست أنها قد نالت الشرف العظيم التى كانت تحلم به منذ أن أسلمت.

واستقبلت نساء النبى ﷺ ميمونة استقبالاً حسنًا.

وعاشت ميمونة حياتها الجديدة تكثر من الصلاة، والعبادة تقربًا لله وشكرًا على نعمة، وكانت تحب الصلاة فى المسجد النبوي بعد أن سمعت من رسول الله ﷺ أن الصلاة فى مسجده بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

وجاء وفد بنى هلال بن عامر رهط السيدة ميمونة إلى المدينة يعلنوا إسلامهم لدى رسول الله ﷺ وعلى رأسهم عبد عوف بن أصرم فأسلم وسماه الرسول ﷺ عبد الله.

وجاء مع وفد بنى هلال زياد بن عبد الله بن مالك العامرى وهو ابن أخت السيدة ميمونة، ودخل على خالته فى بيتها، فلما دخل رسول الله ﷺ عليها وراه غضب ورجع، فقالت له ميمونة: يا رسول الله إنه ابن أختى فدخل ﷺ، ثم خرج ومعه زياد فصلى الظهر ثم أدنى زيادًا. فدعا له، وضع يده على رأسه ثم مددها على طرف أنفه، فكانت رهط بنى هلال يقولون: ما زلنا نرى البركة فى وجه زياد منذ ذلك اليوم[1].

ومرض رسول الله ﷺ فى مرضه الأخير فى بيت ميمونة رضي الله عنها ثم استأذن زوجاته أن يمرض فى بيت عائشة رضي الله عنها فوافقوا جميعًا، وانتقل إلى بيت عائشة رضي الله عنها فى مرضه الأخير حتى توفاه الله -عز وجل- وانتقل إلى الرفيق الأعلى.

وعاشت ميمونة رضي الله عنها بعد وفاته ﷺ، مثل أمهات المؤمنين فى عبادة الله وطاعة له، وقد روت وحفظت عن رسول الله ﷺ ما يقرب من ستة وسبعون حديثًا ذكر منها فى الصحيحين ثلاث عشر حديثًا.

وامتدت بها الحياة حتى عهد معاوية بن أبى سفيان وتوفيت سنة إحدى وخمسين من الهجرة.

(1) البداية والنهاية لابن كثير.

رضي الله عنها وأرضاها، ومن حبها لرسول الله ﷺ أوصت حين وفاتها أن تدفن فى المكان الذى أعرس بها رسول الله ﷺ ودخل بها على حدود مكة بمنطقة «سرف» وكانت حين جاءتها الوفاة بمكة فطلبت أن تخرج منها إلى «سرف» وقالت: فإنى لا أموت بها إن رسول الله ﷺ أخبرنى أنى لا أموت بمكة.

فحملوها حتى أتوا بها «سرف» إلى الشجرة التى بنى بها رسول الله ﷺ تحتها، وماتت هناك ودفنت، ويروى صاحب سير أعلام النبلاء وغيره عن عطاء قال: توفيت ميمونة بسرف فخرجت مع ابن عباس إليها، فقال: إذا رفعتم نعشها، فلا تزلزلوها ولا تزعزعوها، ارفقوا بها ولا تزعزعوا فإنها أمكم وموضعها من رسول الله موضعها.

وصلى على جنازتها ابن أختاه ابن عباس رضي الله عنهما ودخل قبرها هو وأولاد أخواتها يزيد بن الأصم وعبد الله بن شداد ودفنت حيث أحبت بسرف فى الظلة التى بنى فيها رسول الله ﷺ.

قالت عنها السيدة عائشة بعد وفاتها: ذهبت والله ميمونة، أما إنها كانت من أتقانا وأوصلنا للرحم[1].

رضي الله عنها وأرضاها.

(1) أخرجه الحاكم فى المستدرك وابن سعد فى الطبقات، وسير أعلام النبلاء، والإصابة لابن حجر.

الباب الثانى

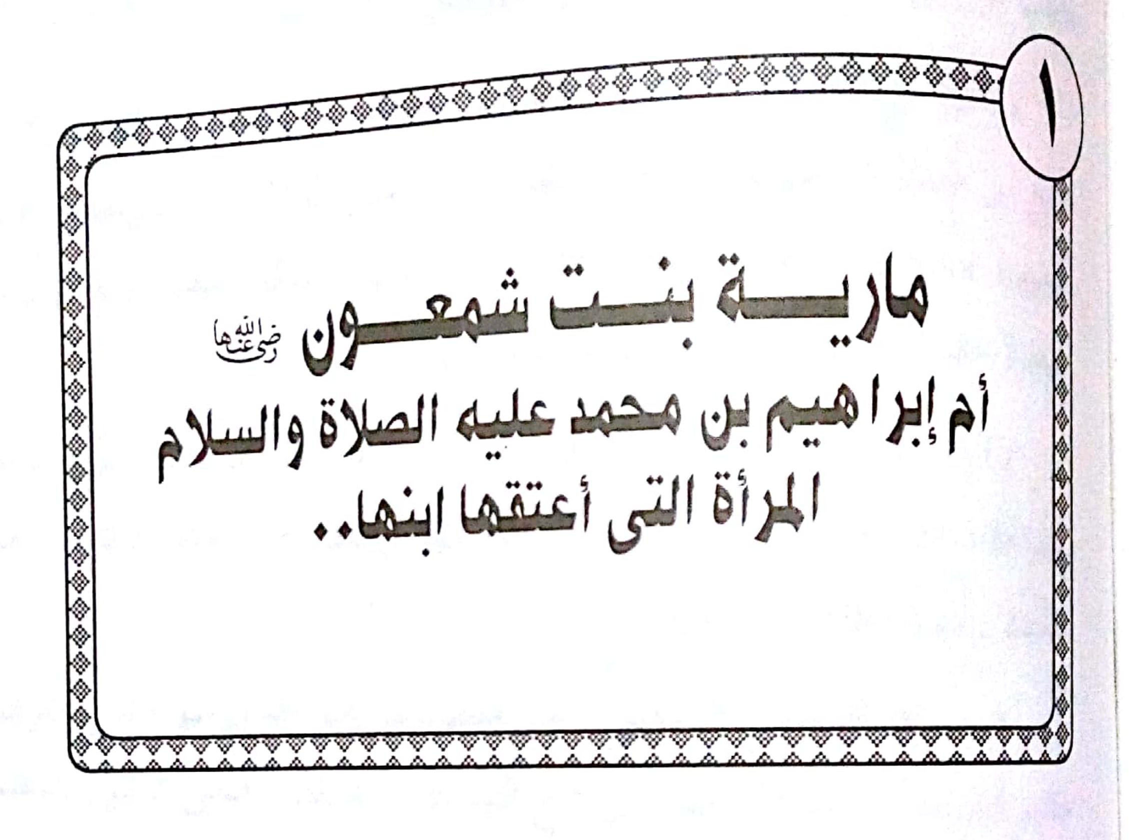
سرارى النبى ﷺ

١ - مارية القبطية

«مارية بنت شمعون»

أم إبراهيم رضي الله عنها

٢ - ريحانة بنت زيد رضي الله عنها


١
ماريــــة بنــت شمعــون رضي الله عنها
أم إبراهيم بن محمد عليه الصلاة والسلام
المرأة التى أعتقها ابنها..

[١] مارية القبطية رضي الله عنها

القادمة من مصر:

بعد صلح الحديبية فى العام السابع الهجرى أرسل رسول الله ﷺ، رسائل إلى حكام الأرض وقتها يدعوهم إلى الإسلام، فأرسل الصحابى حاطب بن أبى بلتعة إلى حاكم مصر المقوقس.

والمقوقس كان يحكم مصر نائبًا عن الدولة البيزنطية في مصر واسمه جريج بن مينا أو متى، وكانت مصر من أغنى الولايات البيزنطية، فقد وصفها عمرو بن العاص الذى كان يتردد عليها بقوله: مصر تربة غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر، وعرضها شهر.

وكان رسول رسول الله حاطب بن أبى بلتعة ذو حكمة وحُسن منطق وفصاحة، قدم مصر برسالة رسول الله ﷺ ومختومة بخاتمه المنقوش عليه «محمد رسول الله» كتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم... من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط(١)، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم القبط ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٢)».

ودخل حاطب بن أبى بلتعة على ملك مصر بكتاب رسول الله ﷺ،

---

(١) المقصود بالقبط أى المصريين باللغة القديمة، وليس كما يزعم العامة الآن. إن كلمة القبط تعنى النصارى، وأهل مصر أيام «المقوقس لم يكونوا كلهم نصارى».

(٢) آل عمران: ٦٤ .

فرحب به، وأحسن وفادته وتحدث معه حاطب بحكمة وسياسة بالغة، وذكره بما كان عليه قبله من فراعنة مصر، وكيف استقبلوا دعوة موسى -عليه السلام- وأعجب المقوقس بحديث حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه، فقال له: إنى قد نظرت فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجد معه آية النبوة بإخراج الخبء والأخبار والنجوى وسأنظر(١)، وكتب المقوقس رسالة إلى النبى ﷺ يقول فيها: «إلى محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليكم، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا إليه وقد علمت أن نبيًا بقى، وكنت أظن أنه سيخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك»(٢) بجاريتين لهم مكان فى القبط عظيم، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك(٣).

ولم يسلم المقوقس ملك مصر وقال لحاطب: أنت حكيم جاء من عند حكيم وهذه هدايا أبعث بها إلى محمد، وأرسل معك من يبلغك مأمنك.

وعاد حاطب إلى المدينة ومعه الهدية وفيها جاريتين هما مارية بنت شمعون وأختها سيرين، وبغلة بيضاء وأثواب من قباطى مصر وأيضًا عبدًا خصى يسمى مابور.

وفى طريق العودة للمدينة تحدث حاطب بن أبى بلتعة مع الجاريتين عن الإسلام ونبى الإسلام، فأسلمت مارية وأختها قبل دخولها المدينة.

مارية القبطية فى بيت النبوة

اختار النبى ﷺ مارية القبطية لنفسه، وأعطى سيرين أختها إلى شاعره حسان بن ثابت رضى الله عنه، وأسكن رسول الله ﷺ مارية عند حارثة بن النعمان

(١) عيون الأثر فى فنون المغازى والسير لابن سيد الناس والسيرة الحلبية باختصار وتصرف.
(٢) ومارية القبطية من قرية مصرية تسمى «حفن» من صعيد مصر «معجم البلدان للحموى».
(٣) زاد الميعاد لابن القيم وطبقات ابن سعد.

الأنصارى فترة من الزمان ثم أسكنها فى العالية بالمدينة فى مكان يسمى باسمها الآن «مشربة أم إبراهيم».

وكانت مارية ذات جمال، وكان لرسول الله ﷺ ملك يمين وكانت يمكث عندها وقتًا طويلاً، حتى أن عائشة رضى الله عنها غارت منها، وأعلنت ذلك فقالت: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة عصرها فأعجب بها رسول الله ﷺ وكان أنزلها أول ما قدم بها بيت لحارثة بن النعمان، فكانت جارتنا، فكان عامة الليل والنهار عندها حتى فرغنا لها، فجزعت فحولها إلى العالية وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا(١).

وبعد عام من دخول مارية البيت المحمدى حتى زفت إليه بشرى حملها وكان ﷺ قد قارب الستين من عمره، ولم ينجب أولادًا بعد وفاة خديجة رضى الله عنها رغم زواجه من نساء صغيرات السن وبكر وهى عائشة رضى الله عنها جميعًا، وعاد الماضى الجميل قبل ذكرياته إلى ذهن رسول الله ﷺ، وتذكر خديجة أم الأولاد، وتذكر هاجر زوجة إبراهيم عليهن السلام المصرية التى أنجبت له إسماعيل جد العرب وجد النبى ﷺ.

وانقضت شهور العدة وأنجبت مارية القبطية طفلاً ذكرًا جميلاً سماه رسول الله ﷺ فى اليوم السابع «إبراهيم» تيمنًا بأبى الأنبياء -عليه السلام-.

وبهذه الولادة المباركة أصبحت مارية حرة وكان رسول الله ﷺ قد فرض عليها الحجاب فترة حملها إذانًا بذلك. وقال ﷺ: **«أعتقها ولدها»**(٢)، وقال أيضًا: **«أيما أمة ولدت من سيدها فإنها حرة إذا مات، إلا أن يعتقها قبل موته»**(٣).

(١) طبقات ابن سعد والإصابة لابن حجر.
(٢) الطبقات لابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما.
(٣) المصدر السابق.

وفرح المسلمون بإبراهيم فرحًا شديدًا، وتنافس الأنصار مع رعاية المولود الجديد.

وحظيت مارية القبطية بمكانة عظيمة بعد ولادتها لإبراهيم بين نساء النبى ﷺ فالكل يريد رضاءه ورعاية طفله.

واختار له النبى ﷺ كعادة العرب مرضعة من الأنصار تسمى أم سيف وأكرم مرضعته وجعل عندها سبعة رؤوس من الماعز كى تستعين عليهم فى الرضاعة(١).

فى اليوم السابع تصدق ﷺ على فقراء المدينة وعق له بكبش وحلق رأسه أبو هند الأنصارى وتصدق بوزن شعره فضة على الفقراء ثم أخذوا شعره دفنوه فى الأرض وسماه إبراهيم وجاء جبريل -عليه السلام- إلى النبى ﷺ يوم مولد ابنه فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، فاطمأن رسول الله ﷺ إلى ذلك(٢).

مارية وحادثة الإفك

كما حدث واتهم المنافقون عائشة رضي الله عنها بالإفك، جرى ذلك لمارية القبطية أيضًا، فقد روت كتب السير والأحاديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت أم إبراهيم سرية النبى ﷺ فى مشربتها -مسكنها- وكان قبطى يأوى إليها ويأتيها بالماء والحطب. فقال الناس: علج يدخل على علجة.

«أى اتهموها فى شرفها» فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأرسل على بن أبى طالب رضي الله عنه، فوجده على نخلة، ونظر علىٌّ إلى النخلة، فرأى القبطى مجبوبًا، «أى خصى ليس له فى النساء أى مأرب» فرجع دون أن يقتله إلى

---

(١) ذكر صاحب الإصابة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«ولد لى الليلة غلام فسميته باسم أبى إبراهيم ودفعته إلى أم سيف امرأة فى المدينة»**.

(٢) طبقات ابن سعد. وأخرجه البزار فى كشف الأستار.

النبى ﷺ وقال: يا رسول الله، أرأيت إذا أمرت أحدنا بالأمر، ثم رأى فى غير ذلك أيراجعك؟».

قال: نعم.

وأخبر على بن أبى طالب رسول الله ﷺ الخبر، فقال رسول الله ﷺ: **«أصبت، إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»**. ثم قال: الحمد لله الذى يصرف عنا أهل البيت(١).

وهكذا رد الله المنافقين بغيظهم لما ينالوا شيئًا من أهل البيت، فقد كان هذا العبد خصى وقد أرسله المقوقس مع مارية وأختها لخدمة رسول الله ﷺ ولا حرج فى دخول الرجال ذوى الأربة من الرجال على النساء فى دين الله، منهم خصى لا مأربة لهم فى النساء، لأنه قديمًا كانوا يخصون العبيد الذكور وهم أطفال كى يتفرغوا للخدمة الشاقة وكى لا يكون هناك حرجًا أو خوف فى دخولهم على النساء، وهذا العبد حين رأى السيف فى يد الإمام على بن أبى طالب كشف له عن حاله فرأى عليه أنه خصى فرجع إلى رسول الله ﷺ.

ولم تمر السنة الثانية على مولد إبراهيم -عليه السلام- حتى مرض مرضًا شديدًا، وحزنت على مرضه أمه وجزعت لذلك جزعًا شديدًا.

وذات يوم اشتد المرض وأضحى إبراهيم يجود بنفسه، ووضعه رسول الله ﷺ فى حجرة وسبقت دموعه إلى وجنتيه وسقطت فى مشهد حزين وقال له: يا إبراهيم إنا لا نغنى عنك من الله شيئًا، وذرفت عيناه وقال: **«يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وإن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك حزنًا**

---

(١) رواه البزار فى كشف الأستار وطبقات ابن سعد ومسلم برواية أخرى وحلية الأولياء وغير ذلك.

شديداً هو أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون تبكى العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب»(١).

وقال أيضًا: **«تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون»**(٢).

ومات إبراهيم بن محمد ﷺ فى الشهر الثامن عشر لولادته العام العاشر من الهجرة.

وغسل إبراهيم ووضع فى كفنه(٣) وجاءوا به إلى البقيع ورسول الله ﷺ يجلس على شفير قبره ومعه أسامة بن زيد، وأضجعه رسول الله ﷺ بيده فى قبره وسوى عليه التراب ونداه بالماء، وقبل دفنه صلى عليه وكبر أربعًا وقال: ندفن عند فرطنا عثمان بن مظعون، «الحق بسلفنا الصالح وعثمان بن مظعون»(٤).

وهون رسول الله ﷺ على مارية القبطية فقال لها: **«إن له مرضعًا يتم رضاعه فى الجنة»**(٥).

وتصادف يوم موت إبراهيم أن كسفت الشمس فظن الناس أن كسوفها لأجل موت إبراهيم -عليه السلام- فبلغ ذلك النبى ﷺ فقام خطيبًا فى الناس فقال:

- **«إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلّوا وادعوا الله»**(٦).

(١) الاستيعاب عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. (٢) رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) قيل إن الذى غسله الصحابية أم بردة الأنصارية وقيل: الفضل بن العباس رضي الله عنهما. والله أعلم.

(٤) عيون الأثر فى فنون المغازى والسير لابن سيد الناس.

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه وفى مسلم أيضًا: أن إبراهيم أبنى وأنه مات فى الثدى وأن له لظئرين تكملان رضاعه فى الجنة.

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه.

وهكذا مات إبراهيم ولحق بأهل البيت فى جنات النعيم.

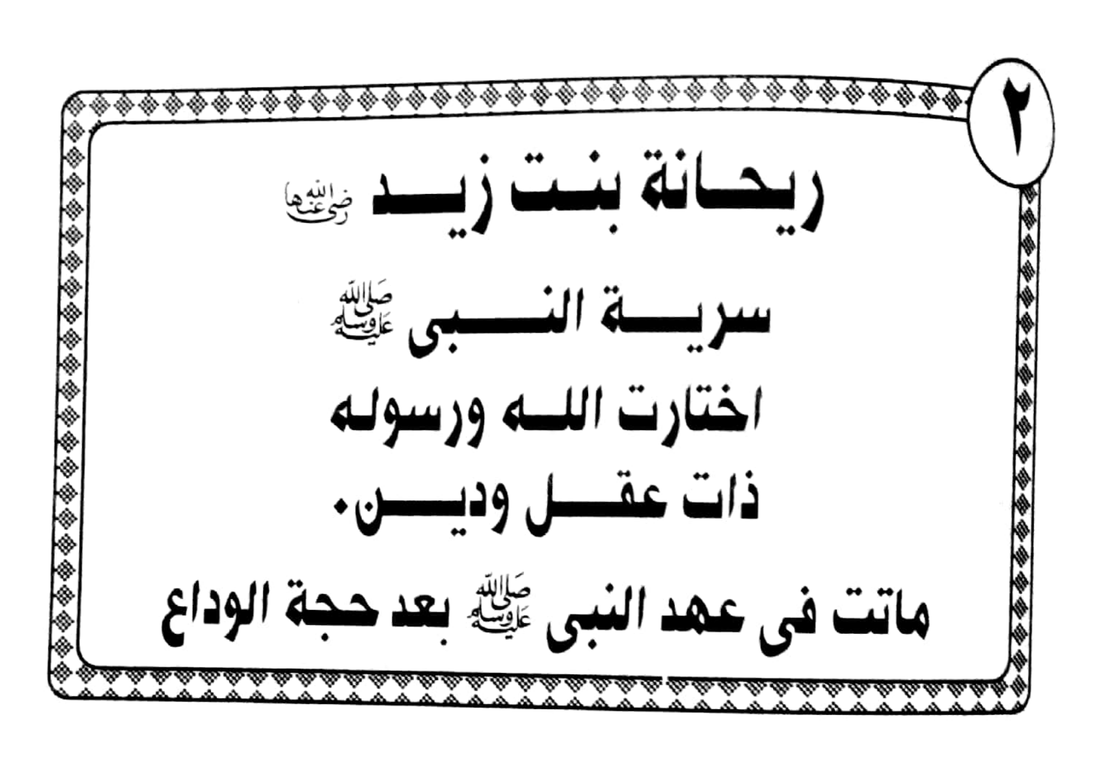
وأوصى رسول الله ﷺ بأهل مصر خيرًا فقال: **«إذا دخلتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا»**(١).

وفى رواية أخرى: **«إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتوها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا»**(٢).

وعاشت مارية بعد وفاة الرسول ﷺ، فى عبادة الله -سبحانه وتعالى-، تؤنس وحدتها بالصلاة والصيام والذكر، وماتت فى عهد عمر بن الخطاب فى العام السادس عشر من الهجرة ودفنت بالبقيع بالمدينة وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فسلام عليها فى الصالحين والصالحات رضي الله عنها(٣).

(١)، (٢) أخرجه مسلم فى صحيحه.

(٣) نادى مناد فى المدينة أن توفيت مارية أم إبراهيم ورؤى عمر بن الخطاب وهو يدعو الناس ويجمعهمّ لشهود الصلاة عليها واجتمع عدد كبير من الصحابة الكرام كى يشهدوا جنازتها ودفنت فى البقيع إلى جانب نساء أهل البيت النبوى. «طبقات ابن سعد».



٢
ريحانة بنت زيد رضى الله عنها
سرية النبى ﷺ
اختارت الله ورسوله
ذات عقل ودين.
ماتت فى عهد النبى ﷺ بعد حجة الوداع

[٢] ريحانة بنت زيد رضي الله عنها

فى العام السادس الهجرى هزم الله الأحزاب من قريش وحلفاءها الذين حاصروا المدينة حول الخندق حصارًا دام خمس عشر ليلة.

ولما كان بنو قريظة -اليهود- قد خانوا عهد الله ورسوله وتحالفوا مع الأعداء ضد المسلمين ونقضوا المعاهدة، فقد ذهب إليهم رسول الله ﷺ ومعه المسلمون لحصارهم بعد ذهاب الأحزاب من حول المدينة، وذلك امتثالاً لأمر الله -تعالى-. وأمر رسول الله ﷺ أن يؤذن بلالاً فى الناس: لا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة.

وانطلق المسلمون إلى بنى قريظة وحاصروهم ومرت الأيام ويهود بنى قريظة فى حصونهم، حتى ألقى الله الرعب فى قلوبهم، وطلبوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ وكانوا سبعمائة وخمسة مقاتلاً فأمر بهم أن يقيدوا وأن تجمع النساء والذرارى من الحصون وكانوا ألفًا.

وحكم فيهم سعد بن معاذ الأنصارى بناءً على طلبهم فقال سعد: فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتغنم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار.

فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات.

وتم تنفيذ حكم سعد بن معاذ وقتلت الرجال، ووزعت السرارى من النساء والذرارى، فكان من نصيب رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد بن عمرو من بنى النضير.

وكانت ريحانة ذات حظ من الجمال، وتحظى بمكانة رفيعة فى قومها وكانت تعيش مع زوجها قبل مقتله فى حياة رغدة.

وعرض عليها رسول الله ﷺ الإسلام فأبت، فتركها وشأنها فقال لها: **«إن أسلمت اختارك رسول الله لنفسه»**. فأبت، فشق عليه ذلك[1] ثم أسلمت بعد ذلك، وسر رسول الله ﷺ لإسلامها وخروجها من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان والإسلام.

وحين أبت ريحانة الإسلام عزلها رسول الله ﷺ فى دار أم المنذر سلمى بنت قيس الأنصارية، فظلت عندها وشعرت بطمأنينة واستعرضت أحوال قومها اليهود وكيف غدروا برسول الله ﷺ وعهده، وكيف أنهم يعلمون أنه النبى لا كذب ولكن الحقد الدفين فى قلوبهم، مر كل تلك الأفكار والذكريات بخلدها، وجاء رسول الله ﷺ بعد فترة، ويعرض عليها الإسلام فأجابته: إنى أختار الله ورسوله. وأسلمت ودخلت البيت النبوى - وقد ثار تساؤل بين أهل العلم.. هل ريحانة من أمهات المؤمنين أى زوجة للنبى ﷺ أم من سراريه ملك اليمين؟.

قال البعض: إنها من نساءه ﷺ.. ولكن الغالب والواقع يشير إلى كونها ملك يمين وأنها طلبت ذلك من رسول الله ﷺ! فقد خيرها وقال: **«إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت، وإن أحببت أن تكونى ملكى فعلت»**. فقالت: يا رسول الله أكون ملكك أخف علىّ وعليك[2].

وهذا ما أكده البلاذرى فى أنسابه أنها كانت ملك يمين.

ولم يذكرها أصحاب السير من زوجات النبى ﷺ أو مارية القبطية.

وعاشت رضي الله عنها فى بيت النبوة تنعم بلذة الإيمان ونور الإسلام ولم تدم حياتها طويلاً فقد ماتت فى السنة العاشرة بعد عودته ﷺ من حجة الوداع ودفنها ﷺ بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها.

---

(١) طبقات ابن سعد بتصرف.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير، والسمط الثمين ص٣.

الباب الثالث

بنات النبى ﷺ

١ - زينب الكبرى.

٢ - رقية بنت محمد ﷺ.

٣ - أم كلثوم بنت محمد ﷺ.

٤ - فاطمة الزهراء بنت محمد ﷺ.

[١] زينب بنت محمد ﷺ

ولدت زينب فى مكة فى بيت أبيها محمد ﷺ وأمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها قبل البعثة، وكانت أول أولاده تبكيرًا، تربت بين أبٍ كان رحمة للعالمين وصاحب أخلاقًا عالية المستوى وأمٍ هى سيدة نساء العالمين رضي الله عنها.

لقد كانت زينب باكورة الزواج المحمدى الأول بمكة، وجوهرة نفيسة فى عقد الأبناء.. أحبها والديها وأحاطها بالرعاية.. كل الرعاية.

وما أن اكتملت أنوثتها ونضجت تلفت الأنظار حتى خطبتها خالتها هالة بنت خويلد لابنها أبى العاص بن الربيع. وكان أبو العاص من فتيان مكة المعدودين شرفًا ومالاً، قرشى الأصل، يلتقى نسبه مع رسول الله ﷺ عند عبد مناف بن قُصى ويلتقى نسبه من ناحية الأم هالة بنت خويلد عند جد زينب بنت محمد من ناحية الجد خويلد.

ووافق النبى ﷺ وزوجته خديجة رضي الله عنها ورحبا بالخطبة المباركة، وكان ذلك قبل البعثة.

وفرحت زينب بزواجها ورضا والديها، وزفت إلى عريسها أبى العاص ابن خالتها، وأهدتها أمها قلادة غالية عندها.

وعاشت زينب فى بيت زوجها سعيد هانئة تنعم بدفء الحياة الزوجية، وزوجها يشملها بالحب والرعاية، وقد رزقهما الله بابنة هى أمامة وولدًا هو عليًا.

وبعث رسول الله ﷺ، وجاءه الأمر الإلهى بالدعوة لذوى القربى والعشيرة أولاً ثم الناس كافة بعد ذلك، فآمنت به زوجته خديجة بنت خويلد وبناته جمعيهن، فأسلمت زينب، وأخبرت زوجها أبا العاص بالإسلام والدين

الجديد، وأنها أسلمت ودعته إلى الإسلام، ولكنها لم تجد لديه استجابة للدين الجديد.

وحاولت زينب أن تقنع زوجها بالدخول فى الدين الجديد إلا أنه أجابها:

- والله ما أبوك عندى بمتهم، ولكنى أكره أن يقال إنى خذلت قومى، وكفرت بدين آبائى إرضاءً لامرأتى.

وحزنت زينب لرفض زوجها الدخول فى الدين الجديد، وحاولت قريش أن تجعله يفارق زوجته كما فعل ابنا أبى لهب إلا أنه رفض ذلك بشدة ويعلن لهم: لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش[١].

وتعيش زينب فى بيت زوجها صابرة محتسبة تنتظر ما يأتيها من الفرج الإلهى كى يعود البيت إلى حاله الأول.

وتوفيت أمها خديجة بنت خويلد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وحزنت زينب لفراق أمها، وكذلك هاجرت أختها رقية مع زوجها عثمان بن عفان إلى الحبشة من قبل، وها هى تعانى رفض زوجها وعناده ورفضه التسليم والإسلام لدين الله.

ويهاجر رسول الله ﷺ مع صديقه أبى بكر الصديق ﵁ إلى المدينة المنورة، وبقيت زينب فى بيت زوجها بمكة وحيدة، غابت الأم وانتقلت إلى ربها وهاجر الأب فى سبيل دعوة الله.. أصبحت غريبة فى بلدها ودارها!!.

وخرج المشركون لقتال المسلمين، والتقى الجمعان عند بدر، وكان النصر للإسلام والمسلمين نصرًا مؤزرًا، وخرج مع جيش المشركين أبو العاص زوج زينب ﵂، ووقع أسيرًا فى أيدى جيش الإسلام، واستعرض رسول الله ﷺ الأسرى فوجد أبا العاص فيهم فقال لأصحابه: استوصوا بالأسرى خيرًا..

(١) تاريخ الأمم والممالك للطبرى باختصار.

وبعثت قريش على فداء أسراها من أيدى المسلمين.. وعاش أبو العاص بين المسلمين أسيرًا يرى المعاملة الكريمة وحسن خلق الإسلام وندم أشد الندم على محاربة الإسلام وأهله، وندم أيضًا على أنه لم يدخل فى هذا الدين منذ الوهلة الأولى. فهو يعرف محمدًا ﷺ وهو أبو زوجته وصهره.. وأخذ فؤاده يهوى إلى الدين الجديد.. ولكنه لا يستطيع أن يعلن ذلك الآن وهو فى الأسر.. فيقال: إنه أسلم هروبًا من الأسر.

وأرسلت زينب ﵂ فداء زوجها وكانت القلادة التى أهدتها إليها أمها يوم عرسها، وجاء بالفداء أخوه عمرو بن الربيع، ولم يكد رسول الله ﷺ يرى القلادة حتى خفق قلبه واستعاد ذكرى زوجته الراحلة خديجة ﵂ ورق القلب المحمدى لابنته التى أرسلت فداء زوجها أعز ما لديها، قلادة أمها، وتوجه رسول الله ﷺ إلى أصحابه فى حنان الأبوة يستحث كرمهم ومروءتهم فهم الذين يملكون التصرف فى أسيرهم؛ فقال لهم: «**إن رأيتم أن تطلقوا أسيرها، وتردوا عليها ما لها فافعلوا**».

فقالوا جميعًا: نعم يا رسول الله.

وهكذا كانت الاستجابة سريعة من الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين.. إنه الحب والطاعة للرسول ﷺ.

وأخذ رسول الله ﷺ العهد على أبى العاص أن يخلى سبيل زينب لأن الإسلام قد فرق بينهما[١].

وعاد أبو العاص إلى مكة وفرحت به زوجته زينب ولكنه كان حزينًا وأخبرها أنه عاهد أباها أن يرسلها إليه لأن الإسلام قد فرق بينهما..

وقال لها: جئتك مودعًا يا زينب، وانهمرت الدموع من عينيها.. وهى تظن أن زوجها سوف يسافر تاركًا إياها.. ولكنه أردف قائلاً:

(١) الطبقات لابن سعد، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى. وسير أعلام النبلاء.

لست راحلاً يا زينب ولكنك أنت الراحلة، فإن أباك هو الذى طلب منى أن أردك إليه لأن الإسلام قد فرق بيننا.

وبالفعل هاجرت زينب إلى المدينة المنورة، ولكن قريش ولم يجف دماء قتلاها فى بدر، تصدت لزينب تمنعها من الخروج إلى أبيها، وكانت حاملاً فسقطت، وأعادها أبو العاص إلى بيتها كى تسترد عافيتها وصحتها.

وذات يوم استطاع أبو العاص أن يخرج زينب مع أخيه كنانة بن الربيع حتى أبلغها المدينة عند أبيها ﷺ.

وعاشت زينب فى المدينة تنعم بجوار أبيها ﷺ، وتدعوا الله أن يشرح صدر زوجها للإسلام.

ومضت سنوات وزينب صابرة محتسبة حتى كان العام السادس الهجرى، فوجئت زينب بأبى العاص زوجها يطرق بابها.. وعلمت زينب منه أنه جاءها مستجيراً بها.. فقد خرج فى تجارة له ولقريش وفى عودته لقيته سرية لرسول الله ﷺ بقيادة زيد بن حارثة وأخذت ما لديه من المال والتجارة وهرب منهم أبو العاص، وعادت السرية بالمال والغنيمة إلى رسول الله ﷺ بين أصحابه.

واستجابت زينب لأبى العاص فى طلبه الاستجارة، وخرجت عقب صلاة الفجر خلف رسول الله ﷺ ومن صفوف النساء فى المسجد أعلنت فى الناس:

- أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع[1].

فقال ﷺ: **«أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟»**.

- قالوا: نعم يا رسول الله.

(١) تاريخ الطبرى ومجمع الزوائد والسيرة النبوية والطبقات لابن سعد.

قال: «أما والذى نفس محمد بيده، **ما علمت بشىء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، والمؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت**»[1].

ودخل رسول الله ﷺ على ابنته وقال لها:

- «أكرمى مثواه **ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له**».

وسألت زينب أباها ﷺ أن يرد لأبى العاص متاعه وأمواله.

فخرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقال لهم:

- **«إن هذا الرجل من حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له فإنما نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فىء الله -غنيمة- الذى أفاء عليكم فأنتم أحق به»**.

وكانت الإجابة سريعة وقالوا: بل نردده عليه يا رسول الله. وردوا عليه ماله كله كأنه لم يفقد شيئًا.

وشاهد أبو العاص ما فعله معه المسلمون لثانى مرة.. وأضمر شيئًا فى نفسه.. وودع القوم وزينب، وعاد إلى مكة بتجارته، وخرجت به قريش، وأعاد أبو العاص المال إلى أصحابه من قريش ونادى بأعلى صوته:

- يا معشر قريش هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟

قالوا: لا.. وجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيًا كريمًا.

فقال لهم: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. والله ما منعنى من الإسلام إلا تخوفى أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم؛ فلما أداها الله إليكم فرغت منها وأسلمت[2].

(١) ابن هشام فى السيرة النبوية، وابن سعد فى الطبقات، والطبرى فى تاريخه والحاكم فى المستدرك.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام، وتاريخ الطبرى وسير أعلام النبلاء وغيرهم.

وعاد أبو العاص بن الربيع إلى المدينة مهاجرًا كى يلتقى بزوجته ويجتمع شملهما مرة أخرى، ورد رسول الله ﷺ زوجته على العقد القديم بعد مفارقة ثمانية عشر عامًا من إسلامها وإسلامه حيث كان إسلامه عام الحديبية.

ومضى على جمع الشمل وحياة الأسرة الكريمة سعيدة هانئة فى ظل الإسلام عام واحد، وجاء الموت ليفرق بينهما فى الدنيا فى مقتبل العام الثامن الهجرى ومرضت زينب مرض الموت ولقيت ربها وبكاها زوجها أبو العاص وحزن عليها حزنًا شديدًا، وجاء أبوها ﷺ وهى قد أسلمت روحها إلى بارئها فقال لأم عطية الأنصارية وللنساء من حولها:

- اغسلنها وترًا.. ثلاثًا أو خمسًا واجعلن فى الآخرة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا غسلتنها فاعلمننى». فلما غسلنها أعطاناه حقوة، وقال: أشعرنها إياها[1].

ومضت زينب إلى خالقها راضية مرضية بعد أن صلى عليها رسول الله ﷺ والمسلمون، ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة رضي الله عنها وأرضاها.

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه.

[٢] رقية بنت محمد ﷺ

أنعم الله على الزوجين الكريمين، محمد ﷺ وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها بالابنة الثانية «رقية» رضي الله عنها بمكة قبل البعثة.

ونشأت رقية رضي الله عنها مع ظل رعاية أبويها، ودفء الأسرة الكريمة، معها أختها الكبرى زينب ثم جاءت بعدها أم كلثوم، فكانتا كتوأمين نزلا من رحم أم فى يوم واحد.

وكبرت رقية وأم كلثوم وبلغتا سن الزواج، وتقدم عبد العزى بن عبد المطلب عم النبى ﷺ والذى لقب بعد البعثة بأبى لهب لعداءه للإسلام لخطبة ابنتى محمد ﷺ ابن أخيه من ولديه عتبة وعتيبة.

فخطب عتبة رقية، وخطب عتيبة أم كلثوم. ونزل الوحى على رسول الله ﷺ وأمره أن ينذر عشيرته الأقربين. فراح يدعوا إلى الإسلام سرًا فى بداية الدعوة، وبلغ أقرباءه ومنهم عمه عبد العزى «أبو لهب».

ولكن أبا لهب لعب الكبر برأسه، وناصب محمد ﷺ ودعوته العداء منذ الوهلة الأولى. وقال أبو لهب لرسول الله ﷺ حين جمعهم ليدعوهم إلى الإسلام:

- تبًا لك يا محمد ألهذا جمعتنا.

واستمر رسول الله ﷺ فى دعوته كما أمره الله يدعو الناس كافة جهرًا لا سرًا، وازداد عداء أبى لهب وامرأته أم جميل للإسلام وأهله الذين دخلوا فيه وناصروا رسوله ﷺ.. وبالغ أبو لهب وأم جميل فى إيذاء رسول الله ﷺ ونزل قوله تعالى فى سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَى

عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1].

وذاع أمر السورة فى مكة وعلمت أم جميل بها، واستبد بها الغضب هى وزوجها، وأرسلا إلى ولديهما يخبراهما أن محمداً ﷺ قد سبهما. وقال لهما أبو لهب:

- رأسى من رأسك حرام إن لم تطلق ابنة محمد.

فطلق عتبة زوجته رقية قبل أن يدخل بها.

وكذلك فعل عتيبة وطلق أم كلثوم وبالغ عتيبة فأعلن أنه سيؤذى محمداً وربه[2]. وذهب إلى رسول الله ﷺ وسبه وشتمه ورد عليه ابنته فدعا عليه رسول الله ﷺ قائلاً: **«اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك»**. واستجيبت دعوته فأكله أسد فى إحدى أسفاره للشام.

وظن أبو لهب وامرأته أنه أذى رسول الله ﷺ بما فعلا فى طلاق ابنتيه، ولكن الخير كل الخير فى ذلك، فقد أراد الله بهما خيرًا ألا يعيش الاثنتان تحت سقف واحد مع أم جميل وهى من أصحاب النار.

وأراد الله الخير لرقية فتزوجها الصحابى الجليل ذو النورين فتى قريش عثمان بن عفان، وهكذا كان العِوَض من الله -تعالى-، فعثمان بن عفان من المسلمين الأوائل السابقين للإسلام.

ولما اشتد أذى قريش للمسلمين، أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى بلاد الحبشة حيث الملك العادل النجاشى.

وهاجرت رقية مع زوجها عثمان بن عفان إلى الحبشة، وتركت أباها

(١) سورة المسد: ١-٥ .

(٢) تاريخ الطبرى وتفسير القرطبى لسورة المسد وغيرهما ومن المعلوم أن عتبة بن أبى لهب وأخوه معتب قد أسلما بعد ذلك، وقتل أخوهما عتيبة بن أبى لهب كما سيأتى ذكره.

وأمها وبلدها وأخوتها فى سبيل دعوة الله وتشد من أزر زوجها قائلة له: الله معنا ومع الذين تركناهم.

وعاشت رقية ﵂ مع زوجها عثمان بن عفان ﵁ فى دار الهجرة بالحبشة صابرين، ولكنهم كانوا قد أخذوا الحرية فى العبادة فى بلاد الحبشة. .

وعلم المهاجرون أن الحمزة قد أسلم وأن عمر بن الخطاب قد أسلم وأن للإسلام عزة ومنعة فى مكة. . فعاد عثمان بن عفان وزوجته إلى مكة. .

فوجدوا أن اضطهاد قريش قد زاد بالرغم من إسلام الحمزة وعمر بن الخطاب، وعادت رقية إلى بيت أبيها لتجد أمها قد فارقت الحياة فصبرت على قضاء الله وقدره واحتسبت ولم يطل المقام بها وبزوجها بمكة طويلاً حتى أذن رسول الله ﷺ للأصحاب بالهجرة إلى المدينة المنورة حيث العزة والمنعة، وقد دخل أهلها فى الإسلام وبايعوه.

وهاجرت رقية وعثمان ﵄ إلى المدينة فكانت رقية صاحبة الهجرتين وكذلك زوجها عثمان ﵄.

وعاشت رقية وعثمان بالمدينة حياة هانئة نوعًا ما من تلك التى عاشتها فى مكة، فالمدينة دار إسلام وأمان. . ولم يلبث طويلاً حتى هاجر إليها أبوها ﷺ . . اجتمع الشمل. . وتلاقت الأسرة المحمدية بالمدينة فى عزة ومنعه[1].

ولكن قريش ما زالت تناصب المسلمين العداء، وجهزت جيشها للقضاء على الإسلام فى المدينة فى العام الثانى الهجرى.

ومرضت رقية مرضًا شديدًا بعد وفاة ابنها عبد الله التى رزقت به بالمدينة ومات صغيرًا، ونادى منادى الجهاد، وأراد عثمان الخروج إلا أن رسول الله ﷺ أمره بالبقاء بالمدينة لتمريض زوجته.

(١) تحكى كتب السيرة أن السيدة رقية رزقت بمولود أسمته عبد الله بالمدينة ولكنه مات فى السادسة من عمره وتوفيت على أثره فى العام الثانى الهجرى.

وخرج المسلمون إلى ملاقاة جيش قريش أو تجارة أبى سفيان، وكان لقاء جيش قريش «ببدر» قرب المدينة وانتصر المسلمون نصرًا عزيزًا مؤزرًا وقتل رؤوس وصناديد الشرك فى ثلث المعركة.

وعاد البشير بالنصر إلى المدينة يخبر أهلها ومن بقى بها بنصر الله.. إلا أن هناك خبرًا أحزن الجميع فقد ماتت رقية فى نفس اليوم الذى انتصر فيه المسلمون على عدوهم فى أول معركة بينهما.

ولقيت الصابرة المهاجرة ربها راضية مرضية كى تلحق بأمها فى جنات النعيم رضي الله عنها وأرضاها.

[٣] أم كلثوم بنت محمد ﷺ

ثالث بنات النبى ﷺ، جاءت بعد رقية رضي الله عنها مباشرة، فنشأا سويًا كتوأمى روح، وعاشت فى بيت أبيها وأمها قبل البعثة تنعم بالسعادة والرعاية من أبوين كريمين.

ولما بلغت مبلغ النساء تقدم لخطبتها هى وأختها رقية ابنا عمهما أبى لهب كما ذكرنا من قبل، ولكن تلك الخطوبة والزيجة لم تدم طويلاً بعد أن نزل الوحى على رسول الله ﷺ، وأمره ربه بالدعوى إلى الإسلام وإلى توحيد الله وعبادته فأنكر عليه قومه ذلك، وعاداه عمه أبو لهب وقومه.

وأمر أبو لهب ابنه عتبة والآخر عتيبة أن يطلقا ابنتى رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم، فأما عتبة فقد طلق رقية ولم يعادى رسول الله ﷺ، وأما عتيبة فقد سب وشتم رسول الله ﷺ وطلق ابنتيه أم كلثوم، فدعا عليه رسول الله ﷺ قائلاً: **«اللهم ابعث عليه كلبًا من كلابك»**.

وذلك لأن عتيبة جاء رسول الله ﷺ وقد طلق ابنته وقال له: كفرت بدينك، وفارقت ابنتك لا تحبنى ولا أحبك، ثم سطا عليه فشق قميص النبى ﷺ.

وذكرت كتب السيرة أن أبا لهب قد علم أن رسول الله ﷺ قد دعا على ابنه عتيبة بعد أن شتمه عتيبة، وأحس بالخوف على ابنه، وقال: يا بنى والله ما آمن عليك دعاء محمد.

وخرج عتيبة بن أبى لهب فى تجارته إلى الشام ومعه أبوه أبو لهب وهو يوصى القوم من حوله بأن يحيطوا بابنه خشية أن تصيبه دعوة محمد ﷺ، ووصلت القافلة إلى مكان يسمى الشراه قرب الشام.

وباتت القافلة وأوصى أبو لهب كعادته فى تلك الرحلة القوم أن يحيطوا بابنه.

ولكن قدر الله نافذًا، وفى هدأة الليل وسكونه، جاء أسد، يشم القوم وكأنه يبحث عن فريسته وبغيته من القوم، فانقض على عتيبة وحده فقتله شر قتله، وفزع القوم لـما رأوا وهرب الأسد وقد حقق ما يريد وتحققت دعوة النبى ﷺ.

ويقول أبو لهب فى أسى وحزن وانكسار:

قد عرفت أنه لا يفلت من دعوة محمد[1].

وعاشت أم كلثوم رضي الله عنها فى بيت النبوة مع أختها الصغرى فاطمة الزهراء بمكة المكرمة، وعاصرت أحداث الحصار الاقتصادى والاجتماعى لبنى هاشم والمسلمين فى شعب أبى طالب، حين أراد المشركون قتل رسول الله ﷺ، ووقفت بنو هاشم عشيرته وعلى رأسهم عمه أبو طالب فى وجه قريش تمنعه، فحاصرتهم قريش وكتبت الصحيفة الشهيرة بالمقاطعة لهم، وعاشت أم كلثوم مع أبيها وأمها وأختها وأهلها فى شعب أبى طالب صابرة مؤمنة صامدة، وتحملت المشقة والعناء، وهذا هو العهد بأهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين.

وخرج المسلمون وبنو هاشم بعد ثلاث سنوات من الحصار فى شعب أبى طالب، وقد نصرهم الله على قريش ونقضت الصحيفة وأكلتها الأرضة وأبقت على اسم الله بها.

وتوفيت السيدة خديجة رضي الله عنها بعد خروجها من الحصار وحزنت أم كلثوم وأختها لفراق أمها ولكنها كانت كعهدها صابرة محتسبة لا تقول إلا ما يرضى الله -سبحانه وتعالى-.

(1) نقلاً من كتب التفسير والسيرة باختصار منها تفسير ابن كثير والقرطبى والسيرة الحلبية وغيرهم.

وتحملت أم كلثوم أعباء البيت النبوى بعد رحيل أمها حتى هاجر أبوها ﷺ إلى المدينة المنورة، ولحقت به بعد ذلك حيث أرسل رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة وأبا رافع ليأتيا بأهل البيت من مكة.

وعاشت أم كلثوم فى البيت النبوي بالمدينة المنورة فى عزة تحيطها الحفاوة من كل جانب وتابعت أحداث انتصارات الإسلام فى غزوة بدر الكبرى، وكذلك لحظات موت أختها رقية ليلة النصر، وحزنت أم كلثوم لوفاة أختها رقية، وصبرت وسلمت بقضاء الله.

وتمر الأيام والشهور.. ويأتى عمر بن الخطاب يشكو إلى رسول الله ﷺ رفض أبى بكر الصديق وعثمان الزواج من ابنته حفصة حين عرضها عليهما، ويجيبه رسول الله ﷺ: **«يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة»**[1].

وتزوج رسول الله ﷺ من حفصة بنت عمر بن الخطاب، ويتزوج عثمان بن عفان من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، ولقب بذو النورين «لأنه تزوج من رقية رضي الله عنها ثم أم كلثوم رضي الله عنها ابنتى رسول الله ﷺ».

وانتقلت أم كلثوم رضي الله عنها إلى بيت زوجها عثمان بن عفان وجاءها أبوها ﷺ بعد ثلاث فدخل عليها وسألها:

- **يا بنيه، كيف وجدت بعلك؟**

- قالت: خير بعل.

قال: أما إنه أشبه الناس بجدك إبراهيم، وأبيك محمد -صلى الله عليهما وسلم-[2].

وقالت أم عياش أمَة - لرقية رضي الله عنها: إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما زوجت عثمان من أم كلثوم إلا بوحى من السماء»**[3].

(1) أخرجه البخارى وذكرنا القصة فى سيرة السيدة حفصة رضي الله عنها فى هذا الكتاب.

(2)، (3) أسد الغابة ومختصر تاريخ دمشق.

وعاشت أم كلثوم ﵂ في بيت زوجها قرابة ست سنوات في سعادة بالغة، سعيدة بانتصار الإسلام يومًا بعد يوم حتى جاء يوم فتح مكة يوم النصر الأكبر، والعام التاسع من الهجرة، مرضت أم كلثوم في شهر شعبان. وكان مرضها الأخير ولبت نداء ربها، ولحقت بالرفيق الأعلى إلى جوار أختها وأمها ﵄ أجمعين ودفنت في البقيع بالمدينة المنورة بعد أن صلى عليها رسول الله ﷺ والمسلمون.

وينظر رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان قائلاً: **«لو كانت عندنا ثالثة لزوجناكها يا عثمان»**(١).

فلم تبق سوى فاطمة الزهراء وقد تزوجت قبل أم كلثوم من ابن عمها علي بن أبي طالب.

رضي الله عن آل البيت الطاهرين جميعًا.

(١) ذكر صاحب الطبقات ابن سعد أن النبي ﷺ قال: **«لو كنَّ عشرًا: لزوجتهن عثمان»**.

[٤] فاطمة الزهراء بنت محمد ﷺ

رابعة بنات النبي ﷺ، أم أبيها وسيدة نساء العالمين.

جاءت إلى الحياة في العام الخامس قبل البعثة في العام الذي أعادت قريش بناء الكعبة، وارتضت محمدًا حكمًا مع الخلاف الذي نشب بينهم في فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه، ووضع رسول الله ﷺ الحجر في رداءه وأمر رؤساء القبائل أن يمسك كل واحد منهم طرف الرداء حتى وصلوا إلى مكان وضع الحجر الأسود، ووضعه النبي ﷺ بيده، وارتضوا بذلك.

عاشت في بيت أبيها وأمها الكريمين، تحيطها الرعاية والحنان فهي أصغر أطفالهما، نشأت ونور الإسلام قد دخل بيتهم وبعث أبوها رسولاً للعالمين ﷺ.

وعاصرت مع أبيها إيذاء الكفار له بمكة، وكانت لها مواقف مضيئة في الزود عن أبيها كما ذكرت كتب السيرة والأحاديث: أن رسول الله ﷺ قام يصلي في الكعبة، وقد نحر جمل بالقرب من المسجد تقربًا من المشركين لأصنامهم، فقام عقبة بن أبي معيط بناء على مشورة أبي جهل يحمل سلا الجزور -أي كرشة وروثة- وألقاه على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد يصلي والقوم ينظرون بسخرية ضاحكة، وإذا بفاطمة الزهراء ﵂ قد أقبلت في شجاعة، وألقت الروث من على ظهر أبيها، وغسلت ما لحق به من أذى وسبت أبا جهل ومن معه من المشركين فلم يرد عليها أحد، ولما رفع رسول الله ﷺ رأسه من الصلاة دعا ربه قائلاً:

«اللهم عليك بشيبة بن ربيعة. اللهم عليك بأبي جهل بن هشام. اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط. اللهم عليك بأمية بن خلف»(١).

(١) ولقد لقي هؤلاء مصرعهم بأيدي المسلمين في معركة بدر الكبرى عام ٢ هـ، نقلاً عن دلائل النبوة باختصار.

نساء أهل البيت

وتحملت فاطمة الزهراء الآلام حين حوصرت مع أبيها وأمها وقومها فى شعب أبى طالب، وصبرت وصمدت حتى انقضى ثلاث سنوات من الحصار، وخرجت من الحصار كى ترى أمها تجود بنفسها، تلقى ربها راضية مرضية. فحزنت لفراق أمها ولكنها كانت صابرة مؤمنة محتسبة لله -عز وجل-.

وعاشت فاطمة الزهراء مع أختها أم كلثوم فى بيت النبوة بعد رحيل أمهما خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بمكة، وتزوج رسول الله ﷺ بسودة بنت زمعة وهو فى مكة كى تربى أولاده وتدبر شئون البيت، فعاشت مع فاطمة وأم كلثوم فى هدوء وسكينة إلى أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، ولحقت به فاطمة الزهراء وأم كلثوم وسودة بنت زمعة رضي الله عنهن أجمعين.

وعاشت فاطمة الزهراء فى البيت النبوى بالمدينة المنورة قريبة إلى أبيها.. يحيطها بحبه ورعايته، ويتقدم إلى فاطمة الزهراء أكابر الصحابة عمر ابن الخطاب وأبو بكر الصديق.. فأجابهما رسول الله ﷺ **«انتظر بها القضاء»** وأدرك الصاحبيان الجليلان أن رسول الله ﷺ قد ادخر فاطمة الزهراء لابن عمها على بن أبى طالب رضي الله عنه، فأشارا إلى على بن أبى طالب أن يخطب فاطمة.

وذهب على بن أبى طالب على استحياء إلى رسول الله ﷺ يخطب فاطمة الزهراء وهو فقير لا مال له، ولكنه مؤمن قوى الإيمان جاهد فى سبيل الله منذ نعومة أظافره مع رسول الله ﷺ، وسأل على بن أبى طالب رسول الله ﷺ -تزوجنى فاطمة؟.

فابتسم ﷺ وسأله النبى ﷺ: **وهل عندك شىء؟**

قال على: لا يا رسول الله.

فقال ﷺ: **فأين درعك الخطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا؟**

فقال: هى عندى يا رسول الله.

فقال ﷺ: **فاعطها إياها**[١].

وانطلق على مسرعًا وجاء بالدرع، فأمره ﷺ ببيعها ليجهز بثمنها العروس[٢].

واشترى الدرع عثمان بن عفان بأربعمائة وسبعين درهمًا، وتم تجهيز العروس بما تلزم.

ودعا الرسول ﷺ صحابته وأشهدهم على زواج على بن أبى طالب بابنته فاطمة رضي الله عنها، وقدم للضيوف وعاء فيه تمر.

وتم زفاف العروسين ودعا لهما النبى ﷺ: «**اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك فى نسلهما**»[٣].

وأحضر عم النبى ﷺ بكبشين فنحرهما وأطعم الناس ابتهاجًا بالعرس.

وكان جهاز السيدة فاطمة الزهراء -كما تروى كتب السيرة والتاريخ- سريرًا ووسادة من أدم حشوها ليف، وإناء يغسل فيه، وسقاء، ومنخلاً، ومنشفة، وقدحًا، ورحى للطحن، وجرتين للماء.

وعاش الزوجان حياة الزهد اقتداءً بالرسول ﷺ فى بيته مع زوجاته. وعلى نهج الآية الكريمة: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى**﴾[٤].

كانت حياتهما، فذلك سبيل من أراد الآخرة وسعى لهم سعيها.

ورأى على بن أبى طالب زوجته البتول وهى تعمل فى البيت، وصعب

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) رواه البخارى فى صحيحه وأحمد بسنده فى مسنده، وكان زواج على بن أبى طالب من فاطمة قبل زواج عثمان بن عفان من أم كلثوم رضي الله عنهم أجمعين.
(٣) طبقات ابن سعد والإصابة لابن حجر.
(٤) النساء: ٧٧.

عليه حالها وقد أثر الطحن فى يدها وأضنى جسدها نحيلاً، وهو لا يملك القدرة على شراء خادمة تساعدها، وذات يوم وصلت بعض السبايا من الغزو إلى المدينة، فأشار على إلى زوجته رضي الله عنها أن تطلب من أبيها خادمًا من السبايا يساعدها.

وذهبت السيدة فاطمة الزهراء إلى رسول الله ﷺ.

فسألها: **ما جاء بك يا بنية؟**

قالت: جئت أسلم عليك يا رسول الله.

واستحيت سؤاله وعادت إلى منزلها.

ولكن علياً بن أبى طالب استحثها وشجعها وذهب معها وسألا النبى ﷺ أن يعطيهما خادمًا من السبايا، فرد عليهم رسول الله ﷺ:

- **«لا والله لأعطيكما، وادع أهل الصفة -هم فقراء الصحابة كانوا يسكنوا المسجد- تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكنى أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم».**

ورجعا إلى بيتهما ولم يتحقق لهما ما أرادا، ولم يلبثا قليلاً حتى جاءهما النبى ﷺ وقد دخلا فراشهما وغطيا أقدامهما، فقال لهما ﷺ:

- **مكانكما**.. ثم اقترب منهما وقال:

- ألا أخبركما بخير مما سألتمانى؟

فأجابا: بلى يا رسول الله.

قال: **«كلمات علمنيهن جبريل، تسبحان فى دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين وتكبران ثلاثًا وثلاثين[1] فهو خير لكما من خادم».**

(1) ذكره أصحاب السير والسنن مثل ابن سعد فى الطبقات والبخارى فى صحيحه، ومسلم والترمذى والنسائى وأحمد وغيرهم وذكرناه باختصار.

ثم دعا لهما وانصرف بعد أن ترك لهما ولمن خلفهم من المسلمين إلى يوم القيامة ما هو خير من الخادم والخادمة. ولم يتركا هذه الكلمات حتى لقى كل منهما ربه.

ولم يمض عامٌ على الزواج حتى رزقهم الله الابن الأول حفيد رسول الله ﷺ وسماه الحسن، وأذن رسول الله ﷺ فى أذنه وحنكه بنفسه فأول ما دخل جوفه ريق النبى ﷺ وحلق شعر رأسه فى اليوم السابع وتصدق بوزنه فضة.

وبعد عام من مولد الحسن رزقهما الله بولد آخر سماه النبى ﷺ «الحسين»[1].

ويروى مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ كان عند أم سلمة رضي الله عنها فدعا عليًا وفاطمة والحسين والحسن، فغطاهم بكساء ثم قال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتى، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».**

قال ذلك ثلاثًا، ثم قال: **«اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».**

ثم تتابع الرزق الربانى لآل محمد فرزقت فاطمة الزهراء رضي الله عنها «بزينب» وبعد عامين رزقت بطفلة أخرى سماها جدها ﷺ «أم كلثوم».

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

«ما رأيت أحداً أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها، فقبلها، ورحب بها، وكذلك كانت هى تصنع به»[2].

(1) كان ذلك فى شعبان فى السنة الرابعة من الهجرة.
(2) أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم فى المستدرك وصححه الذهبى.

وقال عنها رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس:

«إن فاطمة بضعة منى فمن أغضبها فقد أغضبنى».

وقال أيضًا: **«أن فاطمة بضعة حتى يُريبنى ما رابها ويؤذينى ما أذاها»**(١).

وكان رسول الله ﷺ يحب ابنا فاطمة عليها السلام الحسن والحسين حبًا شديدًا، ويظهر هذا الحب فى كل الأحيان حتى وهو على المنبر يخطب الناس فقد رآهما يومًا ويخطب الناس يمشيان ويعثران فنزل من على المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: **«صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(٢) فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما»**(٣).

ووقف رسول الله ﷺ يصل بالمسلمين، فجاء الحسن والرسول ساجدًا فجلس على ظهره الشريف فرفعه ﷺ رفعًا رفيقًا، فلما رفع من صلاته وضعه فى حجره الشريف فكان يدخل أصابعه فى لحيته الشريفة، النبى ﷺ يضمه ويقبله فى عطف وحنان ويقول: **«اللهم إنى أحبه»**.

وقالوا له ﷺ يومًا: يا رسول الله، إنا رأيناك تصنع بهذا الصبى شيئًا ما رأيناك تصنعه بأحد.

قال: **«إن هذا ريحانتى من الدنيا، وأن هذا ابنى سيد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»**(٤).

وفى العام التاسع الهجرى وفد إليه ﷺ بالمدينة وفدًا من نصارى نجران

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) سورة التغابن: ١٥.

(٣) رواه الترمذى وأحمد بسنده وفى سنن أبو داود والنسائى.

(٤) أخرجه البخارى والترمذى والنسائى وأحمد.

ستون رجلاً منهم أربعة عشرة من الأشراف قساوسة ورهبان ودار بينهم وبين النبى ﷺ حوارًا حول المسيح وما يدعونه أنه إلهٌ أو ابن إله، وسألهم وسألوه وتلا عليهم القرآن، فامتنعوا وأبوا أن يسلموا.. وسألوه عما يقول عن عيسى ابن مريم. فنزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(١).

ولما أصبح ﷺ وقرأ عليهم الآيات فى عيسى بن مريم وتركهم يفكرون فى أمورهم، ولكن أهل نجران امتنعوا عن قبول الإسلام فدعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة كما جاء فى الآيات السابقة، ثم أقبل ومعه الحسن والحسين وفاطمة الزهراء وقال لهم **«إذا دعوت فآمنوا»**.

فلما رآهم أسقف النصارى قال: **«إنى لا أرى وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من جباله لأزاله»**.

وتشاوروا وقالوا لرسول الله ﷺ لا تفعل ولا تباهل وقالوا: يا أبا القاسم لا نلاعنك، وإنا نعطيك ما سألتنا؟ فقبل منهم الجزية وصالحهم على ذلك. وأخرج أحمد بسنده والطبرانى والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية الكريمة **﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾**(٢).

قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال ﷺ: **«علىّ وفاطمة وأبناها»**.

وهكذا كان النبى ﷺ يحب فاطمة رضي الله عنها وأبناءها ويكرمهم ويدعوا لهم فهم أهل البيت الذين جاء منهم الذرية إلى يوم الدين.

---

(١) سورة آل عمران: ٥٩-٦١. (٢) سورة الشورى: ٢٣.

وقال عنها ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة». أخرجه الترمذى.

وفيما رواه الإمام أحمد فى مسنده بسنده عن رسول الله ﷺ: «**حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون**».

وعن كمال عقلها وكمالها كلها قال ﷺ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام**». أخرجه البخارى ومسلم.

ولم يتزوج على بن أبى طالب عليها فى حياتها إنما تزوج بعد وفاتها.

وكما أحبها ﷺ أحبته فاطمة ﵂، وحين حضرته ﷺ الوفاة دعى فاطمة ﵂ وقال لها: «**نُعيت إلى نفسى**» فبكت: فقال لها: «**لا تبكين فإنك أول أهلى لاحقًا بى**» فضحكت. رواه أحمد بسنده.

وكان هذا الحديث بينها وبين رسول الله سرًا لم تفضح عنه إلا بعد وفاته حين سألتها عائشة ﵂ عن بكاءها ثم ضحكها وهو يحدثها ﷺ.

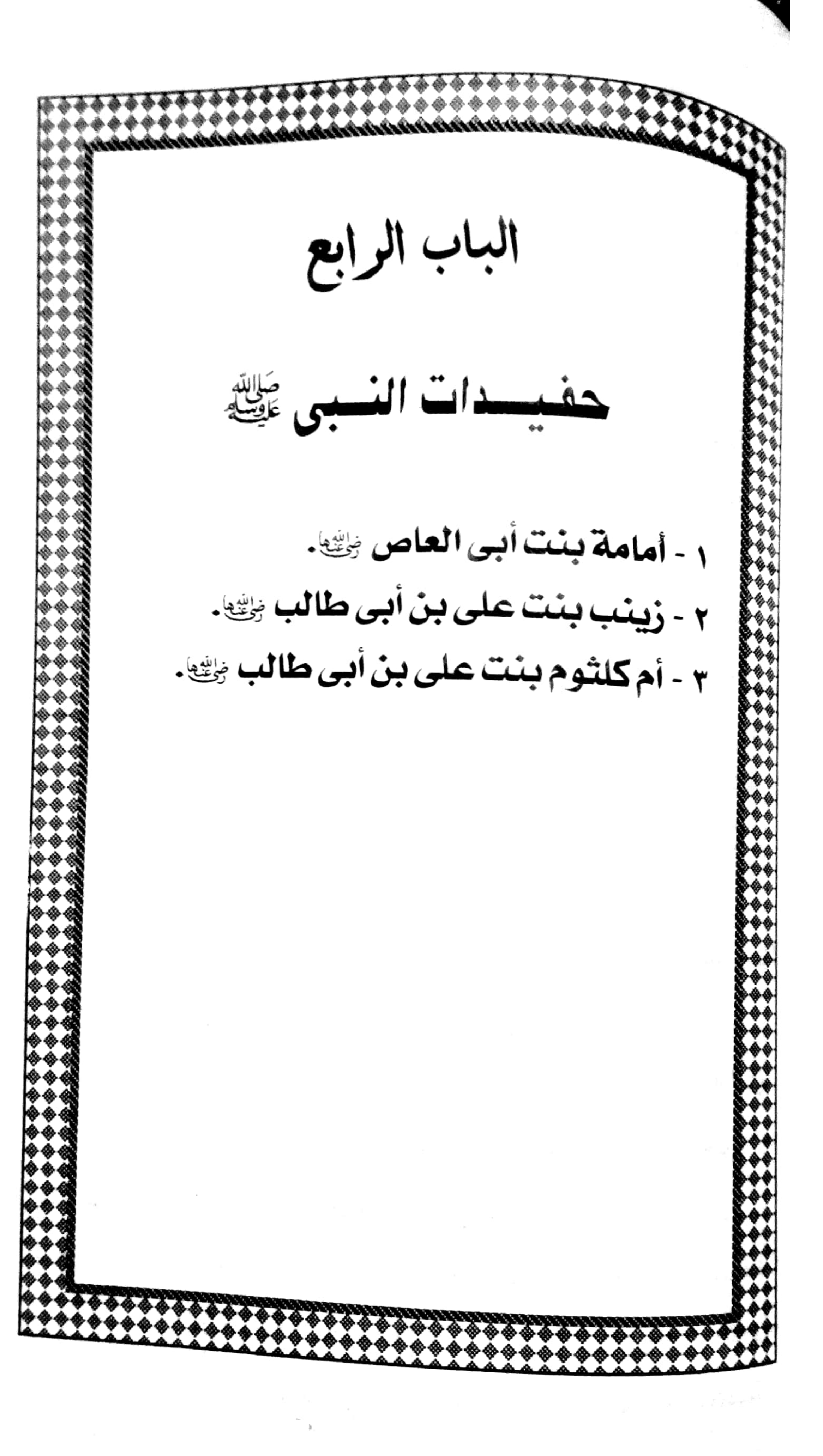
وحين اشتدت سكرات الموت على رسول الله ﷺ، قالت فاطمة ﵂ واكرب أبتاه..

ولكن رسول الله ﷺ يقول لها: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم..".

وانتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى. وحزنت عليه فاطمة حزنًا شديدًا وبكت على فراق أبيها وقالت لأنس بن مالك من شدة حزنها: «يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ»[1].

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه.

ولم تمض على وفاته ﷺ ستة أشهر حتى مرضت السيدة فاطمة ﵂، وأسلمت الروح إلى بارئها فى سنة إحدى عشرة من الهجرة من شهر رمضان وهى تبلغ من العمر سبع وعشرين عامًا وكانت أول أهل البيت لحوقًا برسول الله ﷺ كما قال لها ﵂ وأرضاها.



الباب الرابع

حفيدات النبى ﷺ

١ - أمامة بنت أبى العاص رضي الله عنها.

٢ - زينب بنت على بن أبى طالب رضي الله عنها.

٣ - أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضي الله عنها.

[١] أمامة بنت أبى العاص رضي الله عنها

أول حفيدة للنبى ﷺ.. فأمها زينب بنت محمد ﷺ، وأبوها أبو العاص بن الربيع، ولدت فى مكة قبل الهجرة فى حياة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

أسلمت أمها زينب قديمًا حين دعى رسول الله ﷺ بدعوته مع أمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ولم يسلم أبوها أبو العاص بن الربيع وتأخر إسلامه إلى السنة السابعة من الهجرة.

وهاجرت أمامة مع أمها زينب بعد غزوة بدر الكبرى التى أُسِرَ أبوها فيمن أسر من المشركين، وأرسلت أمها بالفداء وهو قلادة أهدتها إليها أمها ومال، ورد المسلمون فداءها بناء على طلب رسول الله ﷺ وعاد أبو العاص إلى مكة وقد وعد رسول الله ﷺ ألا يرسل زوجته زينب إليه بالمدينة المنورة لأنها لا تحل له وهو على دين قومه من الشرك.

وعاشت أمامة رضي الله عنها بالمدينة فى كنف جدها رسول الله ﷺ، ورعايته وأغدق عليها بالحب والعطف والرعاية.

وفى اليوم السابع الهجرى عاد أبوها أبو العاص وقد أعلن إسلامه ورد رسول الله ﷺ عليه ابنته زينب للنكاح الأول.

وسعدت زينب وابنتها أمامة بإسلام أبى العاص وعودته إليهما.

وعاشت أمامة فى المدينة فى رعاية جدها ﷺ الأمر الذى جعلها تنشأ نشأة ذات تميز فى ظل الهدى النبوى الكريم، وأخذت نصيبًا وافرًا من حب النبى ﷺ لا تقل عن مكانة الحسن والحسين ابنى فاطمة الزهراء.

فكان ﷺ يحملها فى الصلاة على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رأسه الشريف من السجود أعادها.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أهدى لرسول الله ﷺ قلادة من جذع ملمعة بالذهب، ونساءه مجتمعات فى بيت كلهن، وأمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ وهى بنت أبى العاص بن الربيع جارية تلعب فى جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله ﷺ: **كيف ترين هذه؟** فنظرنا إليها فقلنا: يا رسول الله ما رأينا أحسن من هذه قط ولا أعجب.

فقال: **أرددنها إلىَّ.**

فلما أخذها قال: **والله لأضعنها فى رقبة أحب أهل البيت إلىَّ.**

قالت عائشة رضي الله عنها: فأظلمت علىَّ الأرض بينى وبينه خشية أن يضعها فى رقبة غيرى منهن، ولا أراهن إلا قد أصابهن مثل الذى أصابنى، وجمن جميعًا، فأقبل بها حتى وضعها فى رقبة أمامة بنت أبى العاص، فَسُرِّىَ عنا(١).

ومرة أخرى أهدى ملك الحبشة إليه ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب، فأخذه وأرسل به إلى أمامة بنت زينب ابنته ﷺ فقال: «**تحلى بهذا يا بنية**»(٢).

وفى العام الثامن الهجرى شهدت أمامة رضي الله عنها وفاة أمها زينب بنت محمد ﷺ، وعاشت مع أبيها أبى العاص بن الربيع، وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويخفف عنها وكذلك خالتها فاطمة الزهراء التى أولتها برعايتها وأفاضت عليها من حنانها، وأوصت زوجها على بن أبى طالب أن يتزوج أمامة بعد وفاتها رضي الله عنها.

---

(١) رواه الطرانى وأحمد فى مسنده بسنده، وذكره ابن سعد فى الطبقات. وغيرهم.

(٢) ذكره ابن سعد فى الطبقات وأخرجه أحمد فى مسنده وابن ماجة.

وتوفى رسول الله ﷺ وحزنت أمامة لفراق جدها ثم لحقت به خالتها فاطمة الزهراء بأشهر قليلة، ولم يبق أمامها سوى أبيها أبى العاص بن الربيع، ولكن أباها لم يمكث أيضًا طويلاً فقد فارق الحياة فى السنة الثانية عشرة من الهجرة.

وهكذا رحل الأحبة كلهم.. أمها وجدها وخالتها وأبيها.

وشعرت بالوحدة لفقد أحبائها، ولكن الصابرة المؤمنة بقضاء الله، وها هى خالتها رضي الله عنها فاطمة الزهراء توصى زوجها على بن أبى طالب أن يتزوجها بعد وفاتها.

وكانت أمامة بعد وفاة أبيها قد لحقت بناء على وصية أبيها ببيت ابن خال أبيها الزبير بن العوام.

وفى خلافة عمر بن الخطاب تزوج على بن أبى طالب بأمامة بنت أبى العاص ونفذ وصية فاطمة الزهراء رضي الله عنها زوجته الراحلة. وعاشت أمامة بنت أبى العاص أكثر من ربع قرن من الزمان مع على بن أبى طالب، وانتقلت معه إلى الكوفة مقر الخلافة فى عهده، وعاصرت الفتنة بينه وبين معاوية وكذلك ما دار بينه وبين الخوارج.. حتى لقى مصرعه غدرًا فى رمضان عام أربعين من الهجرة. وقال لها الإمام على بن أبى طالب وهو على فراش الموت:

«إن كان لك من الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرًا وأوصاها ألا تخرج عن رأى المغيرة بن نوفل».

وكان المغيرة بن نوفل بن الحارث عبد المطلب الهاشمى ولد على عهد رسول الله ﷺ قبل الهجرة أو بعدها بقليل، ولى القضاء فى خلافة عثمان بن عفان وشهد موقعة صفين مع على بن أبى طالب. وهو الذى قبض على عبدالرحمن بن ملجم الذى طعن الإمام على بن أبى طالب وأخذ منه السيف(١).

---

(١) طبقات ابن سعد.

وبعد وفاة الإمام على بن أبى طالب وانقضاء عدة أمامة بنت العاص خطب معاوية بن أبى سفيان أمامة وبذل لها مبلغًا كبيرًا، لكنها تذكرت وصية على بن أبى طالب لها فجاءت إلى المغيرة بن نوفل تستأمره وتستشيره فقال لها:

أنا خير لك منه فاجعلى أمرك إلىَّ. ففعلت.

ودعا المغيرة بن نوفل بنى هاشم وفيهم الحسن بن على ﵁، وأشهدهم على زواجها منه، وتزوجها وأقامت زمنًا غير كبير معه ووفاتها المنية فى عهد معاوية بن أبى سفيان. ولم تنجب أمامة أولاد من على بن أبى طالب أو المغيرة بن نوفل، وهكذا انقطع عقب السيدة زينب بنت محمد ﷺ وبقيت الذرية فى ولد فاطمة الزهراء ﵂.

وسلامًا على أمامة فى الصالحات و﵂ وأرضاها.

[٢] زينب بنت على أبى طالب ﵂

إنها زينب الصغرى..

أبوها: على بن أبى طالب.

جدها: رسول الله ﷺ.

أمها: فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

زوجها: عبد الله بن جعفر بن أبى طالب.

أخواها: الحسن والحسين بن على.

جدتها: خديجة بنت خويلد ﵂.

خالتها: أم كلثوم وزينب ورقية بنات النبى ﷺ.

عمها: جعفر بن أبى طالب.

ولدت بالمدينة فى العام الخامس الهجرى، سماها جدها ﷺ تيمنًا لاسم ابنته زينب ﵂. فكانت حبيبة إلى قلب جدها ﷺ مثل أمها فاطمة الزهراء ﵂.

عاشت فى بيت أبيها وأمها تحيطها الرعاية والحنان من أبوين كريمين، نهلت من نبع الإيمان الصافى الأول، ومن علم أهل البيت.

وبعد وفاة جدها ﷺ، أطل الحزن على بيتهم، فقد مرضت أمها فاطمة ولحقت بالرسول الأعظم ﷺ بأشهر قليلة وعمر زينب خمس سنوات.

وعاشت بعد أمها مع أختها الصغرى أم كلثوم ﵂ وفى رعاية أبيها على بن أبى طالب -كرم الله وجهه-.

ولما بلغت مبلغ الزواج، تقدم لخطبتها أفاضل القوم، وأراد أبوها أن يزوجها أحد من أقاربه، فلم يكن يستحق هذا الشرف إلا عبد الله بن جعفر

ابن أبى طالب ابن أخى على بن أبى طالب الشهيد جعفر الطيار، شهيد مُؤتة. قال عنه رسول الله ﷺ : **«وأما عبد الله فشبه خلقى وخُلُقى»**.

ودعا له رسول الله ﷺ وهو غلام يلعب بالتراب فقال: «**اللهم بارك له فى تجارته**»[1].

وتزوجت زينب بنت على بابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبى طالب.

وأنجبت زينب بنت على من عبد الله بن جعفر عليًا وعونًا وعباسًا ومحمدًا وأم كلثوم[2].

وكان عبد الله بن جعفر وزوجته زينب قد اشتهرا بالكرم الحاتمى، وكان الأعراب يقصدون بيتهم الذى يفيض على كل زواره.

وشهدت زينب أحداث عظام فى خلافة أبيها على بن أبى طالب للمسلمين وكان عبد الله بن جعفر أحد المناصرين لعلى بن أبى طالب فى موقعة صفين.

وبعد مقتل إمام المتقين على بن أبى طالب عام ٤٠هـ على يد الخوارج حزنت زينب لفراق أبيها ولكنها صبرت واحتسبت -لله تعالى-.

وبعد مقتل أبيها تفقد زينب أمام عينها أخاها الحسين بن على رضي الله عنه فى كربلاء، بعد أكثر من عشرين عامًا من مقتل أبيها على بن أبى طالب. وكانت واقعة كربلاء عام إحدى وستين من الهجرة.

وكانت زينب رضي الله عنها مع أخيها الحسين بن على فى واقعة كربلاء، ولم يبق من أهل البيت يومها أحياء سوى ولد الحسين الأصغر على زين العابدين ابن الحسين وكان مريضًا لذلك أفلت من القتل، وكذلك حسن بن حسن بن

---

(١) رواه الطبرانى والهيثمى فى المجمع.

(٢) الطبقات لابن سعد.

على وأخوه عمرو والقاسم بن عبد الله بن جعفر ومحمد بن عقيل، وزينب بنت على وفاطمة بنت على، وفاطمة وسكينة بنت الحسين وزوجته رباب والدة سكينة وأم محمد بنت الحسن بن على.

ولما دخلت زينب وبقية آل البيت الكوفة على عبيد الله بن زياد وقد لبست أرذل الثياب قد تنكرت وحفت بها أماؤها.. فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ وأشار إلى زينب.. فلم ترد عليه فقالوا له هذه زينب بنت فاطمة.

فقال لها ابن زياد: الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

وعندئذ قالت زينب فى لهجة حازمة:

- الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد، وطهرنا تطهيرًا، ولا كما تقول يا ابن زياد، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر.

فقال ابن زياد: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟

فردت بلهجة أشد: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فيحاجوك إلى الله -عز وجل-.

وغضب ابن زياد من كلامها واستشاط فقال له أحد أعوانه عمرو بن حريث:

- أصلح الله الأمير.. إنما هى امرأة وهل تؤاخذ المرأة بشىء من منطقها إنها لا تؤاخذ بما تقول، ولا تلام على خطل.

عندها قال ابن زياد: قد شفى الله غيظى من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك.

فبكت زينب رضي الله عنها وقال: لعمرى لقد قتلت كهل وأبرزت أهلى، وقطعت فرعى واجتثثت أصلى، فإن يشفيك هذا فقد اشتفيت.

فقال ابن زياد لها: هذه شجاعة لعمرى لقد كان أبوك شجاعًا.

فقالت ساخرة منه: ما للمرأة والشجاعة[1].

وحين أراد ابن زياد قتل على بن زين العابدين بن الحسين احتوته السيدة زينب عمته ودافعت عنه وقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمنًا إن قتلته لما قتلتنى معه.

ولم يجد أمامه إلا أن يرسل السيدة زينب ومن معها من أهل البيت إلى يزيد بن معاوية فى الشام.

تروى فاطمة بنت على وهى أخت زينب لأبيها قالت: لما أجلسنا بين يدى يزيد بن معاوية رق لنا وأمر لنا بشىء وألطفنا، ثم أن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين هب لى هذه -يعنينى- وكنت جارية وضيئة، فارتعدت فزعة من قوله، وظننت أن ذلك جائز لهم، فأخذت بثياب أختى زينب وكانت أكبر منى وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يجوز فقالت لذلك الرجل: كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك وله.

فغضب يزيد فقال لها: كذبت! والله إن ذلك لى ولو شئت أن أفعله لفعلت.

قالت زينب بحزم: كلا يا يزيد! والله ما جعل الله ذلك لك، إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

وعندئذ غضب يزيد غضبًا شديداً وكاد يستطير من شدة الهياج ثم قال:

- إياى تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

فردت عليه زينب: بدين الله، ودين أبى ودين أخى وجدى، اهتديت أنت وأبوك وجدك.

قال يزيد: كذبت يا عدو الله.

قالت زينب: أنت أمير المؤمنين.

مُسلط تشتم ظالمًا، وتقهر بسلطانك.

تقول راوية الحديث: فوالله لكأن يزيد بن معاوية استحى وسكت[1].

واستضاف يزيد بن معاوية آل البيت فى بيته وأدخل زينب ومن معها من النساء على نسائه وحريمه فى دار الخلافة، وأكرمهن وأمر نساء آل معاوية أن يبكين الحسين بن على وأقمن المأتم له ثلاثة أيام، وأكرم أيضًا على زين العابدين بن الحسين وأخوه عمر بن الحسين وبعد ثلاثة أيام من الضيافة، أرسلهم مع رجل من أهل الشام وجهزهم وكساهم وأعطاهم المال الكثير، وأرسلهم إلى المدينة المنورة، وعادت زينب وأهل البيت إلى المدينة المنورة فى عزة وكبرياء ومنعة، وقد تركت أخاها شهيدًا فى أرض كربلاء ومعها من أهل البيت ابناها عون ومحمد بن عبد الله بن جعفر ولم تعش بعد عودتها للمدينة المنورة أكثر من عام حيث توفيت عام ٦٢هـ ودفنت بالبقيع.

وقد قيل: إن زينب بنت على قد ماتت بمصر وقيل: بالشام، وهناك مشهد وضريح بالقاهرة، وبالشام بسوريا، ولكن الحقيقة أنها لم تأتى إلى مصر حيةً أو ميتة وقد أوضح ذلك على مبارك فى كتابه الخطط التوفيقية.

والله أعلم.

رضي الله عنها وأرضاها.

(١) نقلاً عن البداية والنهاية وسير أعلام النبلاء، بتصرف.

[٣] أم كلثوم بنت على أبى طالب رضي الله عنها

إنها الابنة الثانية للسيدة فاطمة رضي الله عنها، فهى أخت زينب بنت على.

أبوها: على بن أبى طالب.

جدها: محمد ﷺ.

أخواها: الحسن والحسين ابنا على بن أبى طالب.

جدتها: خديجة بنت خويلد.

تزوجت من عمر بن الخطاب.

فهى باختصار ابنه خليفة وزوجه خليفة وجدها سيد البشر وأمها سيدة نساء العالمين وكذلك جدتها رضي الله عنها أجمعين.

إنها أم كلثوم بنت على بن أبى طالب الهاشمية..

ولدت أم كلثوم بالمدينة المنورة وفى حياة جدها النبى ﷺ وسماها أم كلثوم على اسم ابنته وخالتها أم كلثوم رضي الله عنها.

توفى رسول الله ﷺ وعمرها خمس سنوات، وفى نفس العام توفيت أمها فاطمة رضي الله عنها.

فنشأت فى رعاية أبيها على بن أبى طالب، فتخلقت بأخلاقه وتعلمت من علمه الوفير، وقد أحاطها أفراد الأسرة بالرعاية والحنان.

وأراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يختار زوجة له فنظر فرأى أن يتزوج أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق وكانت صغيرة وأرسل عمر فيها إلى عائشة بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنها.

فقالت: الأمر إليك.

فقالت أم كلثوم: لا حاجة لى فيه.

فقالت لها عائشة: ترغبين عن أمير المؤمنين.

قالت: نعم إنه خشن العيش شديد على النساء.

فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته.

فقال: أكفيك.

فأتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين بلغنى خبر، أعيذك بالله منه.

قال: ما هو.

قال: خطبت أم كلثوم بنت أبى بكر.

قال عمر: نعم أرغبت بى عنها، أم رغبت بها عنى؟

قال ابن العاص: لا واحدة، ولكنها حدثة نشأت تحت كنف أم المؤمنين عائشة فى لين ورفق، وفيك غلظة، ونحن نهابك، وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك، فكيف بها إن خالفتك فى شىء، فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك.

قال: فكيف بعائشة وقد كلمتها؟

قال: أنا لك بها، وأدلك على خير منها. أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، تعلق منها بنسب من رسول الله ﷺ(١).

وأحب عمر أن يصل نسبه برسول الله ﷺ فقد سمع رسول الله ﷺ يقول: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى**»(٢).

وخطب أمير المؤمنين أم كلثوم بنت على من أبيها على بن أبى طالب، فأجابه على: يا أمير المؤمنين إنك تعلم أننى قد حبست بناتى على أولاد أخى جعفر الطيار وإن أم كلثوم ما تزال صبية صغيرة.

---

(١) نقلاً عن تاريخ الأمم والملوك للطبرى.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك وطبقات ابن سعد.

فقال عمر بن الخطاب: زوجنيها يا علىُّ فوالله يا أبا الحسن ما على ظهر الأرض يرصد من حسن صحابتها، ما أرصده، وأرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد فقال على بن أبى طالب: قد فعلت يا أمير المؤمنين وسأبعثها إليك فإن رضيتها فقد زوجتكها.

وأخذ على بن أبى طالب ثوبًا، فطواه وقال لابنته أم كلثوم: يا بنية، انطلقى بهذا الثوب إلى أمير المؤمنين، وقولى له: إن أبى قد أرسلنى بهذا الثوب، وهو يقرئك السلام ويقول: إن رضيت هذا الثوب فأمسكه، وإن لم ترضه فرده.

وجاءت أم كلثوم رضي الله عنها تحمل الثوب فى يدها، فلما رأت عمر بن الخطاب، قالت له: يا أمير المؤمنين، هذا الثوب الذى أخبرك أبى عنه.

فقال عمر: بارك الله فيك وفى أبيك قد رضينا ما قال.

وعادت أم كلثوم إلى أبيها وقالت له: رأيت أن عمر لم ينظر إلى الثوب ولم ينشره، ولكنه ما نظر إلا إلىَّ ولم أكن لأتوقع ذلك.

قال على بن أبى طالب: يا بنية، قد زوجتك إياه، وهو زوجك.

وأجابت أم كلثوم أبيها ووافقت على الزواج من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان ذلك الزواج المبارك فى العام السابع عشر من الهجرة(1).

وعاشت أم كلثوم رضي الله عنها مع أمير المؤمنين فى بيت الخلافة وتساعده فى عيشته الخشنة، وزهده وورعه، ورغم صغر سنها إلا أنها قامت بدورها فى بيت أمير المؤمنين، فقد كان أمير المؤمنين زوجها متواضعًا لله، خشن العيش والمطعم، شديدًا فى ذات الله، يغضب إذا انتهكت محارمه.

وشهدت أم كلثوم رضي الله عنها أحداث جسام فى عهد خلافة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، وقد رأت الأرض ملئت عدلاً وسلامًا وأمنًا.

(1) ذكره ابن جرير الطبرى فى تاريخه.

ولكن الموت والشهادة جاءت إلى عمر بن الخطاب كما كان يتمنى ويدعو: «اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك وموتًا فى بلد رسولك».

فطعنه أبو لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة وهو يصلى صلاة الفجر فى العام الثالث والعشرين من الهجرة.

وحزنت أم كلثوم لوفاة زوجها ولكنها صبرت واحتسبت عند الله أجرها.

وكانت أم كلثوم قد ولدت له ابنة سميت «رقية» وولدًا سمته «زيد»

وعاشت أم كلثوم رضي الله عنها فى بيت أبيها على بن أبى طالب رضي الله عنه، وبعد انقضاء عدتها تقدم إليها. سعيد بن العاص الأموى القرشى وهو من الجوادين المشهورين بالكرم وأدرك سعيدٌ هذا رسول الله ﷺ، وكان أميرًا للكوفة فى عهد عثمان بن عفان.

وأجابت أم كلثوم رضي الله عنها طلبه ثم شاورت أخويها الحسن والحسين، فوافق الحسن بن على وأما الحسين رضي الله عنه فقد رفض تلك الزيجة، ولما بلغ سعيد بن العاص كراهية الحسين بن على زواجه من أخته أم كلثوم رضي الله عنها ترك أمر الزواج.

وأقبل عليها أبيها على بن أبى طالب وطلب منها أن تترك أمر زواجها فى يده فيختار لها الزوج المناسب لها، ووافقت أم كلثوم رضي الله عنها، فزوجها أبيها من ابن عمها عون بن جعفر، ومكثت أم كلثوم رضي الله عنها زوجة ابن عمها عون ابن جعفر فترة من الزمن حتى استشهد.

ولما انقضت عدتها، زوجها أبوها من ابن عمه محمد بن جعفر بن أبى طالب، واستشهد محمد بن جعفر أيضًا، ثم زوجها أبوها من ابن عمها الثالث عبد الله بن جعفر وعاشت معه حتى توفيت فى يوم واحد مع ابنها زيد ابن عمر، فقد روى أصحاب السيرة أن زيد بن عمر حضر مشاجرة فى قوم

بنى عدى بن كعب ليلاً، فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابه ضربة شجت رأسه ومات من فوره.

وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشيًا عليها، من الحزن فماتت من ساعتها.

ودفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر فى وقت واحد، وصلى عليهم عبدالله بن عمر بن الخطاب وخلفه الحسن والحسين وذلك فى عهد معاوية بن أبى سفيان، ولحقت بأهل البيت فى جنات النعيم، رضي الله عنها وأرضاها.

خاتمة

شبهات وردود..

وفى الخاتمة نود أن نوضح ونشير إلى بعض مفتريات المستشرقين وأعداء الإسلام.. ومن شابههم من جلدتنا.. حول بعض المسائل الهامة فى ديننا الحنيف وتتعلق بموضوع كتابنا هذا..

الموضوع الأول: هو تعداد الزوجات ذلك الموضوع الأزلى الذى يثيره أعداء الإسلام دومًا وكأن الإسلام صاحب بدعة تعداد الزوجات.

والموضوع الثانى: هو تعدد زوجات النبى ﷺ، وزواجه بأكثر من أربعة زوجات.

تعدد الزوجات فى الإسلام وفى الشرائع الأخرى:

لقد أوهموا النساء أن تعدد الزوجات ضد الحضارة وهو صورة من صور الهمجية، وضد كرامة المرأة العصرية، وإهدار لمبدأ المساواة بينهما.

ونسى هؤلاء وهؤلاء أن تعدد الزوجات لم يأت به الإسلام، وإنما كان فى الشرائع السابقة، وهو أمر فطرى ليس دليلاً على الحضارة أو الجهل، فالشريعة الموسوية اليهودية تبيح تعدد الزوجات ودون عدد ولم يرد فى التوراة ما ينهى عن التعدد، وإنما هو أمر مباح ذكرت كتبهم المقدسة أن أنبياءهم كانوا متعددين الزوجات.

فنبى الله يعقوب عليه السلام كان يدعى «إسرائيل» وهو أصل بنى إسرائيل كانت له أربع زوجات ليئة، راحيل، زلفة، بلهة.

ونبى الله وكليمه موسى عليه السلام - كانت له ثلاث زوجات هن: صفورة، المرأة الكوشيه، بنت القينى[١].

ونبى الله داود -عليه السلام- كانت له تسع زوجات منهن: ميكال، إبيجال، إخينو عم البزر عليه، معكة بنت تلماى، مجيث، إبيطال، عجلة[٢].

ونبى الله سليمان -عليه السلام-: كانت له سبعمائة من الزوجات وثلاثمائة من السرارى[٣].

وأبو الأنبياء إبراهيم -عليه السلام- كانت له ثلاث زوجات هن: سارة، هاجر، قطورة[٤].

وجاء السيد المسيح -عليه السلام- مصدقًا لما جاء فى التوراة وما جاء به موسى -عليه السلام- ومكملاً لشريعته فقال كما جاء فى إنجيل متى: «لا تظنوا إنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل» الإصحاح الخامس ولا يوجد نصٌ فى الإنجيل يحرم تعدد الزوجات، بل جاء فى بعض رسائل بولس يفيد التعدد وجوازه. وقد استدل ذلك ملك فرنسا نابليون وتزوج ثانية فى حضور البابا ولم يعترض عليه.

وقد أثنى المفكرون الغربيون على نظام تعدد الزوجات ونادوا بإباحته لإنقاذ المجتمع من الرذيلة، وأوضح هذا جوستاف لوبون فى كتاب «حضارة

(١) سفر التكوين الإصحاح الثانى وسفر العدد الإصحاح الثانى، سفر القضاء الإصحاح الأول.
(٢) صموئيل الأول، الثانى، الثالث.
(٣) سفر الملوك الإصحاح الحادى عشر.
(٤) سفر التكوين الإصحاح الخامس والعشرون.

العرب» فقال: إن مبدأ نظام تعدد الزوجات الشرقى نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقى فى الأمم التى تقول به ويزيد الأسر ارتباطًا، ويمنح المرأة احترامًا وسعادة لا نراهما فى أوربا.

وجاء الإسلام والعرب فى الجاهلية كانوا يتزوجون دون قيود ودون تحديد أو عدد فقد روى أبو داود فى سننه عن الحارث بن قيس فقال: أسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**اختر منهن أربعًا**».

وذكر الترمذى عن عبد الله بن عمر ﷺ أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشرة نسوة فى الجاهلية، فأسلمن معه، فأمر النبى ﷺ أن يتخير منهن أربعًا.

فجاء الإسلام ليحدد لا يطلق الأمر على غاربه فقال تعالى: ﴿**فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة**﴾ سورة النساء إذن فتعدد الزوجات فى الإسلام ليس بدعًا أو أمرًا مستغربًا بل هو مع الفطرة الإنسانية.

تعدد زوجات النبى ﷺ:

كان تعدد زوجات النبى ﷺ ليس كما زعم المفرضون والمستشرقون وأعداء الإسلام، استجابة رغبات جنسية أو غيرها.

فكل زيجات الرسول ﷺ لها مبرارتها السياسية والاجتماعية، وإن كان التعدد أمرًا طبيعيًا أباحة الشرع والمجتمع قبل وبعد الإسلام ولكننا نوضح ملابسات الزيجات كى نستلهم العبرة والمسببات له، ليس دفاعًا عن رسولنا ﷺ فهو فوق كل الشبهات أو الاتهام، فقد وصفه خالقه وزكاه فقال -جل علاه- ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾.

١ – **زواجه من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها :**

وهى أول زيجاته ﷺ فكان قبل البعثة وبلغت من العمر أربعين عامًا، وهو خمسة وعشرين عامًا، وعاش هذا الزواج المبارك خمسة وعشرون عامًا لم يتزوج عليها رسول الله ﷺ فى حياتها امرأة أخرى. وهذا يوضح أن زواجه لم يكن بدافع الشهوة والهوى، وإلا فكان الأولى به الزواج من شابات فى مثل سنه كما هو المعتاد.

٢ – **زواجه من سودة بنت زمعة رضي الله عنها :**

بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، وأصبح بلا زوجة وعند أولاده يحتجن الرعاية، وهو مشغولٌ بالدعوة وكانت سودة أرملة بلغت من العمر خمسة وخمسين عامًا لا ناصر لها ولا معين وقد توفى عنها زوجها المسلم وهى المسلمة المؤمن فأشارت إليه إحدى الصحابيات بالزواج منه لتلك الأسباب فوافق رغم كبر سنها. تكريمًا لها ومساعدتها بعد أن علم بحالها وتكريمًا لها ولزوجها فقد أسلما وهاجرا فى سبيل الله.

٣ – **زواجه من عائشة بنت أبى بكر رضي الله عنها :**

هى الوحيدة التى تزوجها الرسول ﷺ وهى بكر، وكانت ابنة تسع سنوات وتم الزواج. وكان الزواج منها لتوطيد وتكريم العلاقة بينه وبين صديقه ووزيره أبى بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أبو بكر يظن أن رسول الله ﷺ أخوه فلا يجوز له زواج ابنته، فأوضح له رسول الله ﷺ أن أخوة فى الإسلام ويجوز له الزواج من ابنته، وبذلك قضى على نظام المؤاخاة قبل الإسلام الذى يجعل نظام التآخى كالأخوة فى الدم.

فكان هذا الزواج أيضًا تكريمًا لأبى بكر الصديق رضي الله عنه.

٤ – **زواجه من حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها :**

وكانت أرملة خنيس بن حذافة رضي الله عنه، وقد استشهد فى غزوة بدر،

وتزوجها النبى ﷺ تكريمًا لعمر بن الخطاب وتشريفًا له كما فعل مع صديقه أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

٥ – **زواجه من زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها :**

وكانت أرملة عبد الله بن جحش، مات عنها زوجها فى غزوة بدر. وكانت بحاجة إلى رعاية وكفالة كريمة وتوفيت بعد زواجها بثمانية أشهر.

٦ – **زواجه من هند بنت أبى أمية رضي الله عنها :**

تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة زوجها أبى سلمة، وكان عمرها قد جاوز الستين ولها أبناء صغار السن، ولا كفيل لها، وتزوجها النبى ﷺ لرعاية أبناءها ومكافأة لها على جهادها فى الإسلام وهجرتها إلى الحبشة والمدينة. فكان لها الشرف بدخول البيت النبوى.

٧ – **زواجه من زينب بنت جحش رضي الله عنها :**

وهى ابنة عمة رسول الله ﷺ، كانت زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه رسول الله ﷺ قبل البعثة، وقد أبطل الله -سبحانه وتعالى- نظام التبنى، وكان زيد بن حارثة على خلاف مع زوجته زينب بنت جحش وأراد طلاقها، وأمر الله نبيه ﷺ بالزواج منها، حتى يبطل تلك العادة الجاهلية.

٨ – **زواجه من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها :**

تزوجها رسول الله ﷺ بعد مقتل زوجها عدو الإسلام فى غزوة بنى المصطلق، وقد وقعت أسيرة، فأعتقها رسول الله ﷺ فكانت بركة على أهلها فقد أطلق المسلمون أهلها من الأسر وأصبحوا عونًا للإسلام.

٩ – **زواجه من أم حبيبة بنت أبى سفيان رضي الله عنها :**

أسلمت وهاجرت إلى الحبشة وهناك ارتد زوجها عبيد الله بن جحش عن الإسلام إلى النصرانية، فصبرت وبقيت على إسلامها وفارقت زوجها،

وعاشت وحيدة فى الغربة لا تستطيع العودة إلى أهلها فقد كان أبوها زعيم المشركين وقتها فى مكة وأكبر المحاربين للإسلام.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى ملك الحبشة النجاشى يخطبها، وبالفعل تزوجها وظلت هناك حتى حضرت للمدينة بعد الهجرة النبوية مع المهاجرين بالحبشة عقب غزوة خيبر.

فكان الزواج منها تكريمًا لتلك المرأة الصابرة المؤمنة المهاجرة وتأليفًا لقلوب أهلها بنى أمية.

١٠ – زواجه من صفية بنت حيىّ بن أخطب رضي الله عنها:

كانت بنت سيد قومها من اليهود وبنى قريظة، وأسرت فى غزوة خيبر بعد مقتل زوجها ومقتل أبيها.

وقال لها رسول الله ﷺ:

«اختارى فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسى، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك».

فقالت: يا رسول الله، لقد هديت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعونى حيث صرت إلى رحلك وما لى فى اليهودية أرب وما لى فيها من والد ولا أخ وخيرتنى الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلىّ من العتق وأن أرجع إلى قومى.

فتزوجها الرسول ﷺ، فكان الزواج منها تكريمًا لها وتلطفًا بها حتى أصبحت تفضله عن أهلها وقومها وقد أسلم من اليهود الكثير بعد هذا الزواج الميمون.

١١ – زواجه من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها:

كانت أرملة أبى رهم بن عبد العزى، وهى آخر زوجات النبى ﷺ تزوجها بعد عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة.

وكان يرغب فى تأليف القبائل وهدايتهم للإسلام حيث أن قرابة السيدة ميمونة متشعبة فى بنى هاشم وبنى مخزوم.

هكذا كان زواج النبى ﷺ من زوجاته كلهن، له أسباب سياسية واجتماعية ودينية، وفوق كل ذلك فقد أحل الله تلك الزيجات، فلم يكن التعدد بدعًا أو أمرًا مستغربًا.

وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ ـ ٥٩٢٢٤١٠

اقرأ فى هذا الكتاب

السيرة العطرة الزكية لسيدات أهل البيت النبوى، زوجات النبى ﷺ، سراريه، بناته، حفيداته، رضي الله عنهن أجمعين.

نتعرف بشىء من التفصيل عن سيرتهن، وكيفية دخولهن البيت النبوى، وحياتهن مع رسول الله ﷺ، ومواقف كثيرة جمعها هذا الكتاب الذى نحتاجه جميعًا، كى نتعرف على قدوتنا وأسوتنا وتتعرف نساؤنا على سيرة أمهات المؤمنين كى يقتدوا بهن. رضي الله عنهن أجمعين وصلى اللهم وبارك على أهل البيت.

الناشر



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠



Scanned by CamScanner